حوليات آداب عين شمس المجلد٤٦ (عدد يناير– مارس٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

وسائط الاتصال التفاعلى والتعبئة الافتراضية للفعل الثورى دراسة اجتماعية تحليلية من وجهة نظر عينة من الصحفيين

إيمان محمد عبد الفتاح عز العرب*

أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع- كلية الآداب - جامعة طنطا

المستخلص

تهدف الدراسة إلى التعرف على دور وسائط الاتصال التفاعلى فى التحول الثورى والحراك الشعبى لثورة ٢٥ يناير المصرية من خلال عملية التعبئة الافتراضية لها، والتى أسفرت عن النجاح فى اسقاط نظام مبارك . وقد تم الكشف عن ذلك من خلال مقابلات متعمقة مع عينة من الصحفيين (بالصحف القومية والحزبية والمستقلة) باعتبارهم مراقبون للحدث بشكل يومى على ساحة وسائط الاتصال التقليدية والجديدة فى الفضاء السبرانى، ومن ثم الرصد والتحليل وتقديم الرؤى الاجتماعية لطبيعة دور هذه الوسائط فى الثورة المصرية .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة :

قدمت وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة (الإنترنت والمدونات الاجتماعية، الفيس بوك، تويتر .. وغيرها) فتحا ثوريا، نقل الإعلام إلي آفاق غير مسبوقة، وأعطي مستخدميه فرصا كبري للتأثير والإنتقال عبر الحدود بلا قيود ولا رقابة إلا بشكل نسبي محدود . مما أدي إلي تطور يغير من جوهر النظريات الاتصالية المعروفة، ويوقف احتكار صناعة الرسالة الإعلامية لينقلها مدي أوسع وأكبر شمولية وبقدرة تأثيرية وتفاعلية لم يتصورها خبراء الاتصال انفسهم .

ونظرا لتزايد القاعدة الاجتماعية المستخدمة للإنترنت وتطبيقاته الواسعة، وتوسيع نطاق النفاذ إليها لتشمل قطاعات وفئات اجتماعية عريضة، تحول الجمهور المتلقي فيها من مجرد مستخدم ومستهلك للرسالة الي مشارك فاعل في تشكيل تلك الرسالة، ومن ثم تغيير ملامح المجتمعات واعطاء قيمة مضافة في الحياة السياسية .

ومن هنا كان لوسائط الاتصال التفاعلي الجديدة دور هام في التحول الثورى والحراك الشعبي الذي تشهده منطقة الشرق الأوسط منذ عام ٢٠١١ إلي وقتنا هذا، فلم يتوقف تأثير تلك الوسائط بعد النجاح في اسقاط نظامي "بن علي " في تونس، و"حسني مبارك " في مصر، فمازال هذا الدور في تنام، وان كانت درجة فاعليته تتفاوت خلال مراحل التحول الديموقراطي في العالم العربي، وهوما دفع بعض الأنظمة العربية – فى بعض الأحيان - إلي فرض قيود علي تلك الوسائط وحجب بعضها، بعد ان تحولت خلال السنوات الماضية من مجرد مواقع لتبادل الأخبار والصور بين الاصدقاء والمعارف إلي ساحة للنقاش السياسي بين الشباب عن الهموم التي تعصف بالوطن، والتعبير عن الرأي المفتقد تحت القبضة القوية للأنظمة العربية الديكتاتورية .

أولا: مشكلة الدراسة وأهميتها :

شهدت استخدامات وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة اقبالا متزايدا، وطلبا كبيرا وملحا من قبل شرائح المجتمع المختلفة، خصوصا في بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا خلال عام ٢٠١١ م، والذى عرف بعام " الربيع العربي " الذي شهد مسيرات واحتجاجات وتواترات وثورات شعبية في عدد من بلدان المنطقة، ابتداء من تونس فمصر واليمن وليبيا وسوريا، الأمر الذي عزز زيادة استخدام هذه الوسائط الاتصالية التفاعلية بدافع متابعة الأخبار والتطورات المتلاحقة في المنطقة، بالإضافة الي ما تتيحه هذه الوسائط لمستخدميها من مشاركة الملفات، والصور وتبادل مقاطع الفيديو، وانشاء المدونات، وارسال الرسائل واجراء المحادثات الفورية فيما بينهم .

ولقد لعبت وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة دورا هاما في هذا الحراك الشعبي والتحول الثوري، وتحول الفضاء الرقمي الرحب إلي أداة فعالة للإحتجاج والتنسيق والتعبئة من أجل ارساء ثقافة جديدة للتغيير قوامها إنهاء ثقافة السلطة المتوارثة والاستبداد، والتطلع نحوثقافة الحرية والمواطنة والعدالة الاجتماعية .

وقد جاء ذلك علي عكس ما كان متوقعا من الوسائط التقليدية سواء السياسية كالأحزاب أوالإعلامية أوالثقافية، والتي فقدت الكثير من مصداقيتها، فلم تعد قادرة علي مسايرة وضبط صيرورة (ديناميكية) التغيير السياسي والاجتماعي داخل المجتمع . لقد ارتكز الفعل الاحتجاجي والثوري علي تحركات شعبية سلمية غير مصنفة داخل أي اطار سياسي اوثقافي اوايدولوجي محدد .

وعلي الرغم من ذلك كله، فانه لا يمكن القول ان وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة بكل انماطها هي السبب المباشر في اندلاع ثورات الربيع العربي بما فيها الثورة المصرية، بقدر

ما يمكن القول، ان استخدام هذه الوسائط ساعد وحفز علي التسريع باندلاع هذه الثورات، وأمدها بعناصر قوة جديدة وغير مسبوقة في تاريخ الثورات البشرية .

أي ان وسائط الاتصال الجديدة كانت عاملا هاما في تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلي مجتمعه والعالم، فما تقدمه هذه الوسائط من مضمون لا يؤدي بالضرورة فقط الي إدراك الحقيقة، بل يسهم في تكوين الحقيقة وحل اشكالياتها .

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها من الدراسات البينية التى تقع بين دفتى علم الإجتماع السياسى والدراسات الإعلامية، وحيث أنها تهتم بموضوعات العصر نظرا لما تقوم به وسائط الاتصال الجديدة من دور في التغييرات السياسية الكبيرة، وتوضيح عملها كأدوات ساهمت كثيرا في صياغة الأحداث، وتغيير الواقع من خلال ابعاد تواصلية احدثت فارقا في الحياة السياسية العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص، فقد أصبحت تلك الوسائط بمثابة ساحة لتطبيق الديموقراطية، وان كانت افتراضية علي الإنترنت، وسبل للتعبئة والحشد السياسي للأشخاص والأفكار والمبادئ .

ونظرا لتنامي أهمية تلك الوسائط في تعبئة وتحريك الجماهير، تصاعدت الدعوات بضرورة الإهتمام الرسمي بها، لفهم التغيرات المجتمعية وأراء الجماهير كإجراء استباقي لفهم حركة الشارع العربي عموما، حيث اضحت هذه الوسائط كأحد أهم المؤشرات الدالة علي رسالة الحشود الجماهيرية والاحتجاجات الشعبية المتوقعة . ولذا تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الذى قامت به وسائط الاتصال التفاعلى فى عملية الحشد والتعبئة للحشود الجماهيرية فى ثورة ٢٥ يناير المصرية، من خلال الظروف والموارد التى ساعدت على اندلاع الثورة، وآليات عمل الوسائط الجديدة كمورد للدعم الثورى . وذلك من خلال مقابلات متعمقة مع عينة من الصحفيين للوقوف على أرائهم ووجهات نظرهم، باعتبارهم مراقبون للحدث بشكل يومى على ساحة وسائط الاتصال التقليدية والجديدة فى الفضاء الإلكترونى، كما لديهم القدرة على الرصد والتحليل للواقع الاجتماعى والتاريخى، وتقديم رؤى اجتماعية تحليلية لطبيعة الدور الذى قامت به وسائط الاتصال التفاعلية فى الثورة المصرية .

ثانيا: أهداف الدراسة وتساؤلاتها :

الهدف الأول : الكشف عن أسباب عجز الوسائط التقليدية (السياسية والفكرية والإعلامية) في مسايرة الفعل الثوري ..... من خلال الإجابة على :

س١- ما أزمة الوسائط التقليدية، وما ملامحها، لدى كل من :

أ- القوى الحزبية

ب- النخبة السياسية والفكرية "المثقفون"

ت- المجتمع المدنى

ث- وسائل الإعلام التقليدية ؟

الهدف الثانى : التعرف علي البعد السياسي لوسائط الاتصال التفاعلي الجديدة (التوظيف السياسى للوسائط).

س١- ما أهم خصائص وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة وما مقومات انتشارها ؟

س٢- ما أهم وظائف وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة ؟

س٣- كيف تم تفعيل التوظيف السياسى لوسائط الإتصال التفاعلى الجديدة فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١؟

الهدف الثالث : الوقوف علي دور وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة في التعبئة الإفتراضية في الفعل الثوري المصري .
س١- ما آليات وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة فى عملية التعبئة الإفتراضية الجماهيرية؟
س٢- كيف تم التحول الثورى من السياق الإفتراضى إلى السياق الواقعى ؟
الهدف الرابع : التعرف على أهم القوى المحركة لديناميات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وخصائصها .
س١- ما القوى المؤثرة والدافعة لثورة ٢٥ يناير المصرية، وما أهم الخصائص المميزة لهذه القوى من وجهة نظر عينة الدراسة من الصحفيين ؟
الهدف الخامس : محاولة تقديم رؤية تحليلية اجتماعية لمراحل الثورة المصرية للكشف عن أزمة الوسائط التقليدية وتوضيح دور الوسائط الجديدة فى التعبئة للفعل والحدث الثورى .
س١- كيف كشفت ثورة ٢٥ يناير عن أزمة الوسائط التقليدية، وكيف أظهرت دور الوسائط التفاعلية الجديدة فى التعبئة لها من وجهة نظر عينة الصحفيين ؟

ثالثا: نوع الدراسة وأدواتها :

تنتمى هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية، والتى تستهدف وصف خصائص مشكلة معينة، ودراسة الظروف المحيطة بها، أى كشف الحقائق الراهنة التى تتعلق بظاهرة أوموقف أومجموعة من الأفراد مع تسجيل دلالاتها وخصائصها وتصنيف هذه الحقائق وتلك البيانات وتحليلها وتفسيرها لإستخلاص دلالاتها، وتحديدها بالصورة التى عليها كما وكيفا بهدف الوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها [١] .

اعتمدت الدراسة فى الجزء التطبيقى على أداة المقابلة غير المقننة Unstructured Interview مع عينة من الصحفيين المصريين(تم عرض أسماؤهم فى آخر الدراسة) العاملين بالصحف المطبوعة (القومية والحزبية والمستقلة)، حيث يستخدم هذا النوع من المقابلة فى البحوث الإجتماعية للحصول على بيانات متعمقة عن الإتجاهات والدوافع الإجتماعية، ويتميز هذا النوع بالمرونة الكافية التى تسمح بالتعمق فى الحصول على المعلومات المتعلقة بالحالة أوالموقف، ومن ثم تحليل نتائج المقابلات بشكل أكثر مرونة وكفاءة وعمقا [٢] .

وقد جاء اعتماد الباحثة على رؤية ووجهات نظر عينة الصحفيين، كعينة للدراسة للأسباب التالية :

١- ظلت وسائط الاتصال التقليدية، بما فيها الصحف الورقية، على مدار عقود طويلة هى أداة تشكيل الوعى وتحريك الشعوب إلى التغيير، كما تسهم بالمقابل فى تدعيم الاستقرار فى المجتمعات .
٢- إن اعتماد شهادة الصحفيين على تغيير الواقع التاريخى لوسائط الاتصال والفضاء الإفتراضى بكل توجهاته ليكون فاعلا ناجزا فى إرساء الرسائل، والمساهمة فى تشكيل الوعى وتعبئة الحشد وفعل الاحتجاج ربما بصورة أكبر وأقوى من وسائط الاتصال التقليدية، والتى احتواها الفضاء السبرانى وتجاوزها .
٣- يمثل الصحفيون أحد أقطاب العاملين فى فضاء الاتصال التقليدى، وفضاء الاتصال السبرانى معا، ولذا جاءت أهمية شهادة الصحفيين فى كون الفضاء الافتراضى قد حوى الرسائل الصحفية المكتوبة والرسائل المرئية المصورة، بالإضافة إلى التفاعل والتواصل والحشد من خلال الرسائل الإلكترونية .

٤- تكمن أهمية شهادة الصحفيين فى أنهم كانوا أصحاب شهادة حية فى نقل وقائع ثورة ٢٥ يناير المصرية سواء على مستوى الصحافة المكتوبة والمرئية أوالفضاء الإلكترونى، وكانوا مراقبين للحدث بشكل يومى .

فعن طريق المقابلات المتعمقة In depth Interview لعينة الدراسة، يمكن التعرف على الذكريات المتعلقة بالحوادث والمواقف الماضية (والتى تسمى من الناحية الفنية البيانات الإسترجاعية الممتدة عبر الزمن) ويستخدم الباحث هذه الأداة أيضا للحصول على تفاصيل أكثر لايمكن الحصول عليها من خلال أداة الإستبيان، ولذا تزداد أهمية هذه الأداة فى الدراسات التى يكون فيها عمق فهم الواقع أكثر أهمية وإلحاحا من اتساع المدى أوالمجال الذى تغطيه البيانات [٣] .

وقد تم إعداد دليلا للمقابلة المتعمقة، يتضمن عددا من البنود الأساسية، وهى سبعة بنود :

١- بيانات الصحفى الأساسية .

٢- العوامل التى شكلت المناخ العام خلال فترة ما قبل ثورة ٢٥ يناير .

٣- أهم القوى المحركة لديناميات الثورة .

٤- أهم خصائص تللك القوى فى تأثيرها .

٥- دور وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة فى عملية الحشد والتعبئة الإفتراضية للفعل الثورى .

٦- موقف المجتمع الدولى من الثورة والحراك الشعبى والتحول الديموقراطى داخل مصر .

٧- أهم نتائج الثورة، داخليا وخارجيا .

مفهومات الدراسة :

١- وسائط الاتصال التفاعلى :

وضعت الباحثة تعريفا إجرائيا لوسائط الاتصال التفاعلى، بأنها : تركيبة اجتماعية إليكترونية تفاعلية نشطة، تتيح التواصل لمستخدميها من خلال واقع إفتراضى لإلتقاء الأصدقاء والمعارف والأهل وغيرهم، وهذه المواقع الإفتراضية تماثل الواقع الطبيعى، من خلال تكوين علاقات مع الأصدقاء والآخرين من مختلف الأعمار والأجناس ومن كافة أنحاء العالم، تجمعهم اهتمامات ونشاطات مشتركة، بالرغم من اختلاف وعيهم وتفكيرهم وثقافاتهم وانتماءاتهم . كما أنها منافذ للتعبيرعما يدور فى عقولهم، ويتبادلون من خلالها التجارب والمعارف والمعلومات والملفات والصور ومقاطع الفيديو، فضلا عن تقديم العديد من الخدمات الأخرى، كالبريد الالكترونى، الرسائل الخاصة، المجموعات البريدية، المدونات، المحادثة الفورية .. وغيرها .

٢- التعبئة (والتعبئة الإفتراضية) :

التعبئة هى العملية التى تتحول بمقتضاها جماعة من كونها مجرد حشد من الأفراد السلبيين إلى مجموعة من المشاركين الإيجابيين فى الحياة العامة [٤].

وتعد التعبئة بواسطة شبكات الكمبيوتر إحدى مشاريع وسائل الإعلام الجديدة المعاصرة البديلة والناشطة، حيث يتعلق ذلك بمجال التنظيم السياسى/الثقافى والحركات الاجتماعية، وتستفيد من أدوات البرمجيات الاجتماعية القائمة على الويب مثل مواقع الشبكات الاجتماعية، والمدونات الشخصية، والحشد المفاجىء بالبريد الالكترونى، وخدمات النقاش على البريد الإلكترونى، وذلك من أجل صقل شبكات شخصية على شبكة الإنترنت، وتعبئة تلك الشبكات بهدف الإنخراط فى عمل جماعى وساطى ومباشر [٥] .

ويعرف (ألبرتوميلوكى Alberto Melucci)[٦] التعبئة الإفتراضية، بأنها الكيفية التى يتم من خلالها توجيه التكنولوجيات نحوأهداف تحويلية . كما أنها العملية التى تفترض الجماعة الإجتماعية – بسرعة نسبية – السيطرة على موارد لم تسيطر عليها من قبل، أى أنها عملية تحويل الموارد الموجودة من قبل لصالح هدف جديد .

ويعرفها (مانويل كاستلز Manuel Castells)[٧] هى، كيف تعاد برمجة التكنولوجيات الشبكية نفسها كى تصبح مواقع نشاط وتغيير، وتحويل المشترك من أفكار وهويات واهتمامات الأشخاص إلى فعل جماعى يهدف إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة .

وتعتمد التعبئة الإفتراضية على قدرات الناس على بناء علاقات، والبحث وتقديم المشورة، والتوصيات، والثقة على الإنترنت، وكذلك إخراج الناس إلى الشارع .

إذن .. فالتعبئة الإفتراضية هى العملية التى من خلالها يجمع وينظم الفاعل الجماعى موارده كى يسعى لتحقيق هدف مشترك . وتعتبر عمليات التعبئة محور نظريات تعبئة الموارد، لاسيما عمليات الجمع، والتنظيم، والإستخدام المتعمد والإستراتيجى للموارد المادية والمؤسسية فى الحملات المنظمة .

٣- الثورة (والفعل الثورى):

حظى مفهوم الثورة باهتمام كبير لدى فلاسفة اليونان، أفلاطون وأرسطو، حيث يعد أفلاطون من أوائل الفلاسفة الذين عنوا بدراسة التغييرات التى يمكن أن تطرأ على البناء السياسى، فالثورة لدى أفلاطون، ما هى إلا تغيير دائرى يكشف عن أنماط جديدة . أما أرسطو، فيعد رائد دراسة علم الثورات، حيث قدم أول محاولة شاملة لدراسة الثورة فى مؤلفه الشهير "السياسة"، فالثورة فى نظر أرسطوهى ظاهرة أساسية لإحداث التغيير الذى قد يؤدى إلى تغير أواستبدال الجماعات الاجتماعية [٨] . أى أن الثورة لدى فلاسفة اليونان، تعنى التغيير السياسى الذى تتحول الحكومة من خلاله إلى شكل مختلف، وذلك داخل نمط محدد مسبقا للتتابع والتطور .

ويعرف "معجم العلوم الاجتماعية" الثورة، باعتبارها تغييرا مفاجئا فى الأوضاع السياسية والاجتماعية للدولة، بوسائل تخرج عن النظام المألوف، ولا تخلوعادة من العنف[٩] .

ويعتقد "جوردون مارشال" فى أن الثورة هى أحداث نادرة الوقوع –نسبيا- ولكنها مهمة من الناحية التاريخية، يتم من خلالها قلب النظام السياسى والاجتماعى كلية، وذلك باستخدام وسائل عنيفة عادة، ثم تتم إعادة بنائه على أسس جديدة بقيادة جديدة ([١٠]).

وقد ساد فى القرن التاسع عشر تفسير اعتبر الثورات السياسية والاجتماعية هى الوسائل الأساسية لتحقيق تقدم الإنسانية نحومجتمع تسوده الحرية والعدالة والحكم الذاتى، وهذا التفسير يرجع الفضل فى تطويره إلى الماركسيين، إلى أن برز فى المقابل، اتجاه آخر، يرى أن الثورات تعبر عن عواطف جامحة وغير رشيدة تحكم النظم القائمة، أما المهتمون بالتغير الإجتماعى، فيتناولونها على اعتبار أنها تغير سريع وعنيف وأساسى فى التنظيم السياسى وعلاقات السلطة، أى أن الثورة تعتبر أكثر الأدوات تطرفا فى إحداث التغير الاجتماعى باعتبار أن القوة والعنف مصاحبان لها فى إحداث التغير الجذرى سواء فى البناء السياسى أوالاجتماعى [١١] .

أى أن هناك اختلافا بين علماء الاجتماع والسياسة حول ماهية الثورة، فيرى (بيتى Pety) أنها عملية إعادة بناء الدولة، ويعرفها (مورMoor) بأنها فعل يتسم بالعنف تشارك

فيه نسبة كبيرة من الشعب، ويؤدى إلى تغيير الحكومة، ويعرفها (لاسول Lasol) بأنها مجرد تغيير بسيط فى أشخاص الحاكمين، بمعنى تحول فى التكوين الطبقى لجماعات النخبة، ويصفها (دان Dan) بأنها تغير اجتماعى جماهيرى عنيف وسريع [١٢].

وهذا يعنى : أن الثورة، هى عملية تغيير كلي وشامل، يحدث فى سياق مجتمع ما فى فترة زمنية محددة، ويترتب عليها تغيير فى قيادة المجتمع وحكومته ونخبته، والتأسيس لنظم سياسية واجتماعية تحل محل النظم القديمة، ويكون هذا التغير سريعا ومفاجئا، ويشمل كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .

خامسا: الدراسات السابقة :

١- دراسة ديفيد فارس، ثورات بلا ثوار، شبكات التواصل الاجتماعى واستجابة النظام الحاكم فى مصر، (٢٠١٠) [١٣] تهدف هذه الدراسة إلى معرفة ما إذا كانت لشبكة الإنترنت تأثيرات هامة على السياسات الإستبدادية، خاصة وأن هناك بعض الدول ومنها مصر، أكثر قدرة على مراقبة (فلترة) الأنشطة عبر الإنترنت، إلا أن شبكات التواصل الاجتماعى قد مكنت الدول الإستبدادية من التحكم فى البيئات الإعلامية الخاصة بها بنفس الطريقة التى قامت بها هذه الأنظمة الحاكمة بذلك فى الماضى، وخلصت الدراسة إلى أنه حتى وإن كان لشبكات التواصل الاجتماعى أن تقود إلى بيئات أكثر خصوبة للمعلومات بقدرتها المتزايدة على التنظيم، إلا أن التكنولوجيا نفسها لا تحدد النتائج السياسية، فمن خلال دراسة استخدام جماعة الإخوان المسلمين والبهائيين للأدوات الرقمية، توصلت الدراسة إلى أن شبكات التواصل الاجتماعى يمكن أن توفر مساحة عامة مؤثرة وتخلق نقاط اتصال خطابية للأقليات السياسية والدينية، مما يوضح كيف قوضت هذه الشبكات الاتصالية من عملية السيطرة الإستبدادية على وسائل الإعلام .

٢- دراسة مصعب حسام الدين لطفى، دور مواقع التواصل الاجتماعى "الفيسبوك" فى عملية التغيير السياسى، مصر نموذجا، (٢٠١٢)[١٤] تسعى هذه الدراسة إلى معرفة الظروف التى ساعدت على عملية التغيير السياسى من خلال وسائل غير تقليدية كمواقع التواصل الاجتماعى خاصة الفيسبوك، وأبرز مظاهر تحول هذه المواقع من الطابع الاجتماعى إلى الطابع السياسى المؤثر، بالإضافة إلى مدى تأثير هذه المواقع والقائمين عليها من شباب الفيسبوك فى بقية الدول العربية، وخلصت الدراسة إلى أن وسائل التغيير السياسى السلمية عديدة ولكن فى حالة تعذر حدوثها يكون اللجوء لوسائل غير تقليدية، وأن ثورة ٢٥ يناير لم تكن سوى تتويجا لعوامل عديدة من بينها نقاشات عميقة فى مواقع التواصل خاصة الفيسبوك فى السنوات الاخيرة، وحملات شبابية خرج بعضها من الفضاء الالكترونى إلى الميدان، واخيرا، أن الدور الذى لعبه موقع الفيسبوك فى الثورات العربية سيقى محط جدل بين الباحثين والمحللين .

٣- دراسة كارى نويل أوكونيل، نظرية الشبكات والثورات السياسية، دراسة حالة لدور وسائل الاعلام الاجتماعية فى نشر التواصل بإستخدام موقع تويتر أثناء الثورة المصرية، (٢٠١٤) [١٥] تهدف هذه الدراسة إلى الوصول إلى فهم كيفى لإستخدام وتأثير التواصل بإستخدام موقع تويتر خلال ثورة ٢٥ يناير المصرية، وذلك من خلال رسم الخريطة المادية لإنتشار المعلومات الذى حدث من خلال منصة تويتر أثناء الإحتجاجات، كما تبحث هذه الدراسة دور الأفراد والمنظمات والتأثير الملموس لكل منهم عند تسهيل التواصل من خلال الشبكات الاجتماعية الإفتراضية، وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين نشأة وتأثير وسيلة الإعلام الاجتماعى الجديدة وانخراط العامة فيها، وقد شكلت نظرية الشبكات إطارا لفهم الكيفية التى لعب بها انتشار

المعلومات من خلال الشبكات الإفتراضية دورا فى تسهيل التواصل، بالإضافة إلى أهمية السلطة الهرمية الأساسية فى الشبكات الاجتماعية، فبانخراط المستخدمين من الأفراد فى منصة تويتر، يتطور الدور التقليدى للمنظمات الإعلامية السائدة فى خلق ونشر المعلومات .

٤- دراسة رونالد بوكا، وسائل الإعلام الاجتماعية والثورة : مقارنة بين فرنسا فى عام ١٧٨٩ ومصر فى عام ٢٠١١، (٢٠١٤) [١٦] تقوم هذه الدراسة على بحث دور وسائل الإعلام الاجتماعية فى تحريك الثورات الاجتماعية، فمن خلال منظور نظرية هابرماس للمجال العام السياسى ونظريات دال عن الديموقراطية، من خلال مقارنة بين الثورة الفرنسية ١٧٨٩ والثورة المصرية ٢٠١١، وتطرح هذه الدراسة سؤال : هل هناك علاقة لازمة بين الصحافة المطبوعة فى الثورة الفرنسية ودور الإنترنت ومواقع وسائل الإعلام الاجتماعية فى الثورة المصرية ؟ وتخلص الدراسة إلى أنه فى كلتا الحالتين ساعدت التكنولوجيا فى تسريع عملية تشكيل الرأى العام عن طريق زيادة إمكانية الوصول للمعلومات البديلة وتوسيع نطاق الأفراد المنشقين .

٥- دراسة ماهيتاب مجدى محمود، دور شبكات التواصل الاجتماعي فى توجيه الرأى العام نحوثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، (٢٠١٤) [١٧] تهدف الدراسة إلى التعرف على عوامل تشكيل الرأى العام فى مصر قبل الثورة، من خلال نشأة الرأى العام وتطوره وتصنيفاته وخصائصه والعوامل التى أدت إلى ثورة ٢٥ يناير، وخلصت الدراسة، إلى أهمية دور شبكات التواصل الاجتماعى فى تشكيل وتوجيه وتعبئة الرأى العام تجاه ثورة ٢٥ يناير، والكشف عن مكاسب شبكات التواصل الاجتماعى عالميا ومحليا من خلال أساليب استخدامها فى الثورة المصرية .

٦- دراسة شرين محمد كدوانى، استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية على الإنترنت وعلاقته بالتحول الديموقراطى،(٢٠١٤)[١٨] تهدف الدراسة إلى التعرف على دور مواقع الشبكات الاجتماعية فى دعم عملية التحول الديموقراطى فى مصر فى إطار نظرية المجال العام، وذلك من خلال تحليل خطاب صفحتى (كلنا خالد سعيد) و(حركة شباب ٦أبريل)على الفيس بوك خلال الفترة من ٢٥يناير٢٠١١ وحتى ٣٠ يونيو٢٠١٢، وتوصلت الدراسة إلى أن صفحتى (كلنا خالد سعيد) و(حركة شباب ٦أبريل) قد ساهمتا وبدور كبير فى الدعوة للتغيير والتحول الديموقراطى فى مصر، ونجحتا فى توظيف مختلف أدوات النشر التى يقدم بها موقع الفيس بوك لحشد وتعبئة الجماهير للمشاركة فى الثورة والمطالبة بالحقوق المنقوصة والإحتجاج على سياسات النظام الحاكم تمهيدا لإجراءات التحول الديموقراطى .

٧- دراسة عزام عبيد، تأثير وسائل الإعلام الاجتماعية على الربيع العربى : دراسة مقارنة لأربع من دول الشرق الأوسط، (٢٠١٥) [١٩] تسعى الدراسة إلى توضيح كيف أن وسائل الإعلام الاجتماعية لم تكن السبب الأساسى أوحتى أحد الأسباب وراء ثورات الربيع العربى، ولكنها كانت أداة هامة استخدمها الناس فى الدول التى شهدت الثورات لعدة أغراض، وذلك من خلال استخدام طريقة تحليل المحتوى، وتحليل الفروق بين أربع دول من دول الشرق الأوسط (دول الربيع العربى) وتواجد كل دولة على وسائل الإعلام الاجتماعية والمحتوى الذى أرسلته كل حكومة من خلال وسائل التواصل الاجتماعية، وأظهرت النتائج أن وسائل الإعلام الاجتماعية لم تكن أكثر من أداة اختار الناس استخدامها لعدة أسباب من أجل تحقيق أهدافهم . التى طالما حلموا بها .

٨- دراسة حسنى محمد نصر، من الإنترنت إلى الشارع : دور وسائل الاعلام الاجتماعية فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر، (٢٠١٥)[٢٠]تهدف الدراسة إلى تحليل دور الشبكات الاجتماعية على الويب خاصة شبكة الفيسبوك خلال الثورة، وذلك من خلال تحليل مضمون عينة من الصفحات، للتعرف على كيف مكنت هذه الشبكات الشباب المصرى من تبادل المعلومات قبل الثورة وأثنائها وبعدها، وتحلل المناقشات التى دارت قبل الثورة وأثنائها على صفحات الفيسبوك . وأهم نتائج الدراسة، التأكيد على أهمية وسائل الإعلام الاجتماعية كمنظم سياسى،وإعلام بديل، وصحافة مواطن، وشكل من أشكال الاتصال الأفقى فى تبادل المعلومات، خلال الثورة .

٩- دراسة صفاء عبد الخالق أبوالمعاطى، دور موقعى الفيس بوك وتويتر فى تنمية الوعى الوطنى لدى الشباب المصرى فى ثورة يناير ٢٠١١، (٢٠١٥)[٢١] تهدف الدراسة إلى الوقوف على الدور الذى لعبته مواقع الفيس بوك وتويتر فى تنمية الوعى الوطنى أثناء ثورة ٢٥ يناير ودوافع استخدام الشباب لها، كما تقيس مدى اتاحة هذه المواقع لحرية الرأى والتعبير وتناول الأفكار بين مستخدميها بالإضافة إلى قياس مدى أهمية هذه المواقع لمستخدميها على مستوى العالم بشكل عام ومصر بشكل خاص، وذلك من خلال نظرية الإطار، وجاءت النتائج لتؤكد أن الفيس بوك ييسر لعملية التحول الديموقراطى، لكونه يفرد مساحات افتراضية واسعة لمناقشة موضوعات سياسية مختلفة، وهومرشح بقوة ليكون خطوة قادمة مهمة نحوالديموقراطية .

١٠- دراسة كارا ألايمو،كيف ساعدت صفحة الفيسبوك "كلنا خالد سعيد" فى تحريك الثورة المصرية،(٢٠١٥) [٢٢] تجرى هذه الدراسة تحليلا لكيف نجح صاحب هذه الصفحة فى تحفيز واستغلال الفرص المتاحة فى المناخ السياسى المصرى للمساعدة فى تحريك الثورة ٢٠١١ . وباستخدام تحليل لمحتوى المنشورات على هذه الصفحة قبل وأثناء الثورة، توصلت دراسة الحالة هذه إلى أن مالك هذه الصفحة وائل غنيم، قد عمل كمدرب على مدى طويل، يخبر متابعيه على شبكة الإنترنت عن إساءات نظام حكم الرئيس المصرى مبارك، ويساعدهم على أن يصبحوا أكثر تقبلا للنشاط السياسى، بحيث أنه عندما حدثت واقعة محفزة –الثورة التونسية- كان قادرا على دفع متابعيه إلى الشوارع للتظاهر . وقد استغل غنيم اسلوبين ناجحين : فقد استغل قصة الشاب الذى قتلته الشرطة بوحشية –لتحفيز المشاعر ومساعدة الآخرين على معرفة السبب، كما أنه استخدم خطاب رفيع المستوى لإقناع متابعيه بأن تصرفاتهم قد تحدث فرقا بالفعل . وبذلك تفند هذه الدراسة زعم "جلادويل"٢٠١٠ بأن وسائل التواصل الاجتماعية هى منصة للتواصل الشبكى السطحى، فالتظلمات والأفكار التى تمت مشاركتها على هذه الصفحة كانت موضوعية، وأن الحركة لم تكن شبكية فقط بل كانت هرمية بقيادة غنيم حتى سجنه، أى أن وسائل الإعلام الاجتماعية أصبحت منصة لدعم التغيير السياسى أكثر قوة عما سبق كما أنها تقدم دروسا هامة للنشطاء السياسيين.

١١- دراسة سيدة حسانين راغب، دور مواقع التواصل الاجتماعى فى تشكيل الوعى السياسى للشباب فى ضوء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١،(٢٠١٦)[٢٣] تهدف الدراسة إلى التعرف على درجة تفاعل الشباب مع مواقع التواصل الاجتماعى والدوافع الكامنة وراء استخدامهم ومدى ثقتهم بالمعلومات التى تقدمها لهم ومدى مشاركتهم فى الحياة السياسية خاصة أحداث الثورة، وخلصت الدراسة إلى أهمية مواقع التواصل الاجتماعى فى تشكيل الوعى السياسى للشباب من خلال نشر المفاهيم السياسية

بأساليب مبتكرة، فضلا عن قدرتها على التغيير السياسى وصنع الثورات أوقيادتها، أوتنظيمها، وذلك من خلال ارتفاع نسب استخدام الشباب لهذه المواقع خاصة فى ظل ثورة ٢٥ يناير.

١٢- دراسة نسرين عجب، الثورة الإفتراضية : دور وسائل التواصل الاجتماعى فى الثورات،(٢٠١٦)[٢٤] تكشف هذه الدراسة عن الدور الذى لعبته وسائل التواصل الاجتماعى مركزا على الفيسبوك وتويتر فى ثورة ٢٥ يناير، ومقاربته بالعوامل الأخرى التى ساهمت فى اشعال الثورة، والتى تتمثل بتراكمات القهر والقمع والحرمان المزمن على مدى سنوات وتغييب الاعلام المصرى عن قضايا الشارع وتحركاته، واعتمدت الدراسة على المنهج النوعى والكمى، من خلال الإستعانة بمجموعات التركيز "المجموعات البؤرية"والملاحظات الميدانية والمقابلات المتعمقة، واجراء مسح على عينة من الشباب المصرى من خلال استمارة بحثية، وتوصلت الدراسة إلى أن أسباب الثورة كثيرة تبدأ من البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخانقة فى عهد الرئيس مبارك، وأن وسائل التواصل الاجتماعى خاصة الفيسبوك وتويتر كانت الأداة الفعالة فى تنظيم الصفوف ونقل الأخبار وتحفيز الناس على المشاركة وإيصال الصوت المصرى الغاضب إلى العالم .

١٣- دراسة تمارا خاروب وأوزين باز، وسائل الإعلام الاجتماعية والإحتجاجات : بحث لصورة ثورة ٢٥ يناير المصرية على موقع تويتر، (٢٠١٦)[٢٥] تهدف الدراسة إلى معرفة دور وسائل الإعلام الاجتماعية فى النشاط السياسى وذلك من خلال تحليل محتوى صور موقع تويتر عن ثورة ٢٥ يناير المصرية، ويكشف التحليل الذى تم اجراؤه على ٥٨١ صورة عن محتوى يحفز التأثير (الحشود وأنشطة الإحتجاج والرموز الدينية والوطنية) أكثر من كونه محتوى يثير العواطف (العنف)، خاصة تلك الصور التى ينشرها مستخدمون مصريون، إلا أن المحتوى الذى يثير العواطف قل بينما زاد المحتوى الذى يحفز القدرة على التأثير فى أوقات عدم الإستقرار .

أشارت معظم الدراسات السابقة إلى أهمية الإعلام الجديد بكافة وسائله، ودوره فى إحداث نقلة نوعية فى مفهوم وسائل الإعلام كافة، وركزت على الإنترنت وتناولت مواقع التواصل الاجتماعى والشبكات الاجتماعية والمواقع الإلكترونية وأهميتها وأنواعها وآفاقها. وتوقفت معظمها عند المواقع الإلكترونية التى أصبحت فى متناول أى متصفح لشبكة الإنترنت . ورغم الأدوار الإيجابية والسلبية لشبكة الإنترنت إلا أن معظم الدراسات أكدت على الدور الإيجابى الذى تلعبه شبكات التواصل الاجتماعى فى التقارب بين الشعوب من خلال تقديم الأخبار والمعلومات وتبادل الثقافات والخروج على سلطة الرقيب واتاحة المجال لإبداء الرأى وحرية الإختيار، فضلا عن الدور المميز الذى لعبته شبكات التواصل الاجتماعى "الفيسبوك – تويتر – يوتيوب" فى أحداث ثورات الربيع العربى . وقد اقتربت بعض الدراسات فى أهدافها من هذه الدراسة فى تأكيد وإثبات دور وتأثير وسائل التواصل الاجتماعى، واختلفت بعض الدراسات، فى كون أغلبها ركز على شبكة الفيسبوك، ولم يتطرق إلى باقى الشبكات الأخرى، ولذا تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليلا موضوعيا لطبيعة الدور الذى لعبته وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة فى ثورة يناير، من خلال الدراسة التحليلية لثورة ٢٥ يناير المصرية دراسة بحثية كيفية متعمقة، من خلال رؤية عينة من الصحفيين المستنيرين والمقابلات المفتوحة المتعمقة معهم .

سادسا: الرؤية النظرية للدراسة :

تشتمل الرؤية النظرية للدراسة على :

١-المداخل النظرية لفهم طبيعة وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة ودورها فى التعبئة.
٢-التحليل النظرى لتفسير أسباب قيام الثورات .

١- المداخل النظرية لفهم طبيعة وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة ودورها فى التعبئة :

لا يعمل الإعلام فى فراغ، بل يستمد من السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية سواء كانت محلية أوقومية أوإقليمية أودولية . ولكى نكشف عن أهمية وطبيعة عمل وسائط الإتصال التفاعلى ودورها فى عملية التعبئة للتغيير المجتمعى، باعتبارها أشكالا مستحدثة من وسائل الإعلام، يجب أن نقف على العلاقة الجدلية بين ثلاث مسارات لإحداث التغير الاجتماعى، أولهما : مايعرف بالحتمية التقنية Determinism Technological، وثانيهما : بالحتمية الاجتماعية Determinism Social، وثالثهما : بالحتمية المعلوماتية Determinism Information .

أما الحتمية التقنية فتنطلق من قناعة بأن قوة التكنولوجيا هى وحدها المالكة لقوة التغيير فى الواقع الاجتماعى . وتهلل النظرة التفاؤلية للتكنولوجيا بهذا التغيير وتراه رمزا لتقدم البشرية، فى حين ترى النظرة التشاؤمية أن التكنولوجيا وسيلة للهيمنة على الشعوب المستضعفة، والسيطرة على الفرد، فهى تقتحم حياته الشخصية، وتساهم فى تفكك علاقاته الاجتماعية [٢٦] .

أما الحتمية الاجتماعية، فتتجه إلى أن الأبنية الاجتماعية هى التى تتحكم فى محتويات التكنولوجيا وأشكالها . أى أن القوى الاجتماعية المالكة لوسائل الإعلام هى التى تحدد محتواها . وأن البحوث النوعية التى تتعمق فى دراسة الإستخدام الاجتماعى لتكنولوجيا الإتصال لا تنطلق من المسارين (التقنى والاجتماعى)، لأنها لاتؤمن بأن ماهوتقنى ويتمتع بديناميكية قوية، يوجد فى حالته النهائية . كما أن الأبنية الاجتماعية ليست منتهية البناء . ولعل هذه الحقيقة تنطبق أكثر على المجتمعات العربية التى مازالت فى حركة اجتماعية متواصلة لم تنته إلى صقل اجتماعى تتمايز فيه الأبنية الاجتماعية والسياسية . فالقوى الاجتماعية المتدافعة فى المنطقة العربية مازالت قيد الصياغة والتشكل . كما أن المنطلقات الفلسفية للبحوث الكمية لا تسمح بالإعتقاد بوجود خط فاصل بين ماهوتقنى وما هواجتماعى لأنهما يتفاعلان باستمرار فى الحياة اليومية، بمعنى أن البعد الفكرى للمنهج النوعى يسمح بالملاحظة الدقيقة لكيفية تحقق ما هوتقنى فى الحياة الاجتماعية، ولا يعطى الفرصة للأشخاص الذين يتعاملون مع وسائل الإتصال الحديثة بتشخيص ما هوتقنى أواجتماعى فقط، بل يسمح بإبراز تمثلهم لما هوتقنى والذى على أساسه يتضح استخدامهم له [٢٧] .

أى أن لكلا المسارين، وجهات نظر تدعم تفسيره، إلا أن التفسير الذى قدمه بعض المفكرين فى اختلاف معدل التغير فى كل من الثقافة المادية واللامادية، نتيجة التأثير التقنى فى المجتمعات يعد الأساس فى التحليل الاجتماعى للتقنية "الإتصال" مع احتمال حدوث تصادم بين التغير التقنى والتغير الثقافى، ويترتب عليه خلل وظيفى مما يؤثر فى تفكير أفراد المجتمع، وتتوتر القيم والايديولوجيات السائدة .

وتبرز الحتمية الاجتماعية فى مقابل الحتمية التقنية، على أساس أن القوى الاجتماعية بأنواعها تمتلك زمام تطور التكنولوجيا وتؤثر فى تطويرها وتوجيهها . واشتهر فى هذا الإتجاه (لزلى وايت Waite) وقدم وايت الطرح التالى : إن النسيج الاجتماعى هوالثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا، وتبنى المجتمعات البشرية ثقافيا بواسطة المادية التكنولوجية، وتبنى اجتماعيا بفعل التطور الاجتماعى بمعنى جدلية الاجتماع / التقنية[٢٨].

وتعد وسائل الإتصال عنصرا أساسيا فى المجتمع . لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعى ينقلها إلى دائرة "الحتمية" وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدى الثقافة اللامادية كالايديولوجيات السياسية والاجتماعية إلى تغير واسع فى حياة المجتمع أكثر من تأثير الثقافة المادية فى بعدها التكنولوجى . ولكن يصعب قياس هذه التغيرات "التغير المادى واللامادى" مما أدى إلى اطلاق النظرة النسبية .

ثم ظهر مفهوم الحتمية المعلوماتية فى بداية الألفية الثالثة . إذ لم يعد يقاس مدى تقدم الدول على أساس نتاجها القومى بل إجمالى نتاجها المعلوماتى القومى . وقد اهتم عالم الاجتماع (سكوت لاش Scott) بالتغير المعاصر فى عصر "مابعد الحداثة"، ونبه إلى تناقض عصر ما بعد الحداثة، لأنه يفرض على الإنسان صعوبة العيش فيه دون أدواته الإتصالية التى تربطه بالمجتمع، فمثلا .. لا يستطيع العمل بدون الهاتف المحمول، أوالحاسوب .. أوأى أشكال تقنية للحياة الاجتماعية[٢٩] .

ولا يمكن القول أن عوامل التغير يمكن إرجاعها إلى عامل واحد، إذ يكشف الواقع تساند عوامل عديدة، اقتصادية وتعليمية، وبشرية، وجغرافية، وتكنولوجية، وايديولوجية موجهة، تتفاعل معا لإحداث التغيير .

وتعتمد هذه الدراسة على نظريتين هما : (الإستخدامات والإشباعات) و(تعبئة الموارد).

•الإستخدامات والإشباعات Uses and Gratifications وقد ظهرت هذه الدراسات فى الأربعينيات فى أعمال (لازارسفيلد Lazars field ، وستاتون Stayton ، وبيرلسون Berlson) وفى الخمسينيات فى أعمال (ريليزRileys ، وفريدسون Freidson، وماك كوبى Mc coby) وفى الستينيات فى أعمال (شرام Schramm ولايل Lyle، وباركر Parker) ونظرا للنموالمتزايد لإستخدام شبكة الإنترنت، زاد اهتمام الباحثين فى مجال الإستخدامات والإشباعات لدراسة الأسباب والدوافع التى تدفع الناس لإستخدام هذا الوسيط أكثر من اهتمامهم بمعرفة كيف يستخدم الأفراد الإنترنت . حيث أكد الباحثون على أن نموذج الإستخدامات والإشباعات يركز على الفرد المستخدم لوسائل الإتصال، ويبنى سلوكه الإتصالى على أهدافه بشكل مباشر فضلا عن أنه يختار من بين البدائل الوظيفية ما يستخدمه لكى يشبع احتياجاته، ولتحديد استخدامات الوسائل التكنولوجية الحديثة . فإن كثيرا من الدراسات السابقة تحققت من الإفتراض بوجود ارتباط بين الدوافع الشخصية والدوافع المتعلقة بالوسيلة، ولتحديد دوافع الإستخدام حيث يستخدم الناس الإنترنت لإشباع مايلى [٣٠]:

أ – الحاجات الشخصية على سبيل المثال، تمضية الوقت، الإسترخاء، السعادة، الألفة مع الوسيلة، الهروب من المشكلات.

ب – الحاجات التى يمكن اشباعها تقليديا من الوسيلة مثل، المعرفة، والتفاعل الاجتماعى، واكتساب المعلومات والخبرات وجميع أشكال التعلم بوجه عام .

ويعد هذا المدخل مدخلا اتصاليا سيكولوجيا، فقد افترض وجود جمهور نشط، له دوافع شخصية ونفسية واجتماعية، تدفعه لإستخدام الإنترنت كوسيلة تتنافس مع غيرها من الوسائل لإشباع احتياجاته، وتطبيقا على ذلك فإن فئات جمهور مستخدمى الإنترنت أكثر نشاطا ومشاركة فى العملية الإتصالية بتأثير التفاعلية التى يتميز بها الإتصال الرقمى، وبالتالى يمكن توقع اتخاذ الفرد قراره فى الإستخدام عن وعى كامل بحاجاته التى يريد اشباعها، ويتمثل الإستخدام فى اتجاهين : الإتصال بالآخرين عن طريق الوسائل المتاحة على الإنترنت، سواء كان المستخدم مرسلا أومستقبلا، وتصفح المواقع المختلفة لتلبية الإحتياجات[٣١] .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الربط بين استخدامات وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة وثورة ٢٥ يناير هوربط تعسفى قليلا، لأن هذه الوسائط ظهرت قبل الثورة بفترة، وكان الشباب يعبرون عن أرائهم من خلالها بحرية مع ظهور المدونات قبل الثورة . وربما كانت ثورة ٢٥ يناير لها تأثير تابع لاحقا، أنها زادت من مساحة الحرية ومن هذه الإشباعات . خاصة وأن عدد مستخدمى هذه الوسائط قد زاد بعد الثورة عما قبلها . ولكن لا يمكن القول بأن الثورة هى التى حققت هذا الإستخدام أوهذا الإشباع، وعليه فإن هذه الوسائط لم تشعل الثورة وحدها، بل هناك تراكمات كثيرة ساهمت فى الفعل الثورى .

•تعبئة الموارد Resource Mobilization تشير هذه النظرية إلى منظور مميز فى فهم الحركات الاجتماعية، حيث يركز على الدور الذى تلعبه الموارد المادية . فالدراسات المبكرة للحركات الاجتماعية كانت تميل إلى النظر إلي تلك الحركات باعتبارها ردود أفعال تلقائية أوهستيرية تجاه الدرجات العالية من الإحباط . ولكن مفهوم تعبئة الموارد يركز على الرشد والتمويل الكافى، والقيادة، والتنظيم [٣٢] . أى أن نجاح الحركات الاجتماعية يرجع بشكل أساسى إلى المصادر المتوفرة لها، ومن ثم يمكن الربط بين توفر الموارد وكفاءة اللاعبين فى استخدامها بفعالية .

وتركز نظرية تعبئة الموارد على كيفية تنظيم الحركات نفسها، وكيف يختار المشاركون الموارد من شبكة الهياكل الاجتماعية والمؤسسية الأكبر من خارج الحركة نفسها ويستخدمونها لتحقيق أهدافها، وكيف تستمر الحركات بمرور الوقت . أى أن الحركات الاجتماعية الأكثر فاعلية هى التى قادتها ومنظموها قادرون على التعرف على "هياكل الفرصة" السياسية والتنظيمية والاقتصادية والتكنولوجية المتاحة لهذه الحركة، واستخدام تللك الفرص والحوافز، خلافا لنهج السلوك الجماعى، الذى يميل إلى تشكيل الحركات ككيانات تتصرف مثل أفراد لديهم دوافع، وعواطف، ومعتقدات جماهيرية [٣٣] .

وهذا يعنى أن الحركات الاجتماعية فى تصور هذه النظرية هى جهود جماعية عقلانية يتصرف من خلالها المشاركون عمدا واستراتيجيا كى يعبروا عن المظالم، ويحددوا ويجمعوا المواد والموارد الثقافية، وينتظموا هرميا، ويستخدموا تكتيكات من شأنها تحقيق أهدافهم من خلال قنوات مؤسسية راسخة عادة بدلا من تعطيل وإسقاط تلك القنوات [٣٤]، ومن هذا المنظور، تعتبر قنوات الإتصال موارد مهمة لصياغة وتوصيل أهداف الحركة، وصقل الدعم، وتستعير نظرية تعبئة الموارد بعض مفاهيمها من النظرية التنظيمية، بما فى ذلك مسائل التكاليف مقابل الفوائد، وحوافز، ومثبطات العمل .

وفى ظل العلاقة بين عملية التعبئة والتكنولوجيا ووسائل الاتصال، أصبح يتم انجاز التعبئة من خلال غرس الهويات الجماعية، والقيم المشتركة، والشعور بالإنتماء بين الناس المرتبطة فى شبكات اجتماعية ومجتمعية منتشرة، ولامركزية، ويولد النشطاء ويتبادلون التمثيل الرمزى لهويات وقيم الحركة التى تتحدى تلك الثقافة الأكبر، وذلك من أجل الحفاظ على الشعور بأن المشاركة فى الحركة هى التزام أوأسلوب حياة مستمر، وبالتالى خلق حملة دائمة يشارك فيها الأفراد أويسهمون على أساس الإحتياج[٣٥] .

ولهذا تعتبر وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات والإتصالات موردا هاما وموقعا يستطيع فيه النشطاء صياغة قيمهم ومثلهم العليا، وأساليب حياتهم، والوفاء بالتزاماتهم الشخصية والسياسية باعتبارهم مثالا يستطيع الأخرون اتباعه . ولا تعتبر وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات قنوات متوفرة لنقل المعلومات فحسب، بل إنها تشكل مجال الفعل العملى الحقيقى الذى يتم فيه انشاء وتنافس واستمرار الحركات نفسها[٣٦] . خاصة وأن

هيكل وسائل الإعلام الجديدة الشبكية يعزز تعبئة المشاركين والحركات عبر الحدود والحواجز المكانية والسياسية، والأيديولوجية، والثقافية التقليدية .

وهذا يعنى أن التعبئة الناجحة تعتمد على درجة المصالح للمجموعة المشتركة، والهوية المشتركة، والموارد المتاحة لها، والسلطة السياسية المتاحة لها، والفرص والتهديدات، ومستوى القمع الحكومى الذى تواجهه [٣٧]. وفى هذا العصر الرقمى، فإن الوصول إلى التكنولوجيا والدراية الجيدة بها جعل منها موردا هاما للحركات الاجتماعية الناجحة .

وانطلاقا مما سبق تعد نظرية تعبئة الموارد نقطة انطلاق لشرح فائدة وتأثير تكنولوجيا وسائل التواصل الاجتماعى فى الثورة المصرية نظرا لتركيزها على السياقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية للتحرك الجماعى، وعلى وحدة وتفاعل المصادر المتاحة . وبسبب انتشارها اللامحدود وقابليتها لتوجيه رسائل إلى جمهور عالمى واسع، يمكن اعتبار هذه التقنيات موردا أساسيا للعمل الجماعى والتغيير الاجتماعى . ومع أنه لايمكن القول بأن هذه الثورة كانت ثورة انترنت، إلا أن هذه الوسائل كانت موردا أساسيا استخدم بفعالية فى ولادتها واستدامتها .

وفيما يلى نعرض لأهم المداخل النظرية التى تفسر أسباب اندلاع الثورات من منظور عدة أدوار وظيفية لوسائل الإعلام، ووسائط الإتصال التفاعلى الجديدة .. ومن بين هذه الأدوار الوظيفية :

١ – <u>زعزعة شرعية النظم السياسية</u> :

يمكن الكشف عن العلاقة بين وسائل الإعلام وشرعية النظم السياسية من خلال منظورين، المنظور الأول : قد تسهم الوسائل الإعلامية فى إضفاء الشرعية على النظم السياسية من خلال عدة آليات، من بينها القيام بمتابعة تنفيذ المشروعات التنموية، والتأكيد على كفاءة النظام فى أدائها، والتركيز على إنجازات الحكومة ومدى سعيها لتلبية احتياجات المواطنين وتحقيق العدالة بينهم . كما تلجأ وسائل الإعلام الحكومية فى كثير من المجتمعات النامية لدعم شرعية النظم السياسية عبر اتباعها لإستراتيجية التخويف من تغيير النظام السياسى القائم، ومهاجمة كافة الحركات التى تنادى بالتغيير، واللجوء إلى سياسة تحويل انتباه الجمهور عن سلبيات تلك النظم السياسية، ولكن نجاح وسائل الإعلام فى أداء وظيفة دعم الشرعية السياسية يرتبط بمدى مصداقيتها، ومدى التوافق بين الممارسات السياسية والشرعية، حيث أن تجاهل وسائل الإعلام لسلبيات النظام أمر لا يدعم شرعية النظام السياسى، بل قد يؤدى إلى توسيع الفجوة بين السلطة السياسية والمواطنين، ومن ثم إشاعة التوتر، وفقدان ثقة المواطنين فى النظام السياسى وانهيار شرعيته . أما المنظور الثانى : فيمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دورا فى تقويض شرعية النظم السياسية من خلال عدة آليات، منها التركيز على سلبيات النظام السياسى، والنقد الشديد لسياسته ونخبته، والتشكيك فى المهارات السياسية لهذه النخبة، وقدرتها على تحمل المسئوليات، ووصمها بالتزوير والفساد وتحقيق المصالح الخاصة، إلى جانب الإهتمام بمتابعة أنشطة قوى المعارضة والإحتجاج وإضفاء الشرعية عليها [٣٨] .

أى أنه يمكن القول بأن وسائل الإعلام قد تقوم بدور هام فى التمهيد للثورات، من خلال تقويض شرعية النظم السياسية فى بلد ما، مما يجعل هذه الأنظمة السياسية عرضة للانهيار، وقيام الجماهير بالثورة ضدها .

٢ – <u>تعزيز السخط السياسى لدى الجماهير</u> :

تسهم بعض وسائل الإعلام فى تعميق مشاعر الإحباط والسخط الاجتماعى من خلال تركيزها على الأخبار السلبية التى تكشف عدم اكتراث المسئولين بأحوالهم، وابراز تردى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لفئات المجتمع . فضلا عن دورها فى رفع تطلعات المواطنين، وهوما قد يترتب عليه حدوث ثورة إذا لم يتحقق اشباع لهذه الطموحات والتطلعات . ولعل المدخل النظرى للحرمان النسبى Relative Deprivation يعبر عن حالة التناقض بين أوضاع الإنسان أومجموعة من البشر وتطلعاتهم فى الحصول على الرفاهية أوالأمن أوالتحقق الذاتى، وليس أوضاعهم الاقتصادية بحد ذاتها، ومن ثم فإن عمق ومدى الشعور بالاحباط الناتج عن إدراك الحرمان وفقا لهذه الرؤية يكون الحافز الرئيسى للعصيان الجماهيرى . وبالتالى فإن المحرومين هم أكثر الأفراد شعورا بعدم الرضا مع الأنظمة السياسية والاقتصادية القائمة، وتلك المعاناة تؤدى بالإفراد إلى تنظيم أنفسهم فى محاولة لإجبار السلطات والمؤسسات على تحسين ظروفهم . وقد يدفع ذلك إلى الثورة ضد الأوضاع القائمة [٣٩] .

ويشير (على ليلة)[٤٠] إلى أن بعض وسائل الإعلام قد ساعدت على تفجير ثورة ٢٥ يناير من خلال توعية الجماهير بواقعها مما ساعد على تولد نوع من السخط العام عبر ابرازها عجز النظام عن اشباع الحاجات الأساسية للمواطنين، وكذلك فضحها لحالة الفساد والتردى الأخلاقى والتسيب الإدارى، والإعتداء على المال العام، والفساد الواضح للنخبة، وهوما أدى إلى تعميق حالة السخط العام .

٣ – مساندة الحركات الإحتجاجية وتشكيل الوعى الثورى :

تبدأ عملية الحشد والتعبئة للحركات الإحتجاجية من مجموعة من الناشطين الحالمين بالتغيير، وسرعان ما يتعاطف معهم قطاعات عريضة من الرأى العام، ليتم تنسيق العمل بعد ذلك فى مجموعات كبيرة، تتكون من قيادة وتنظيم مسبق .

ومن ثم تتضح علاقة وسائل الإعلام بتلك النظرية فى إطار كيفية استخدام أعضاء الحركات الإحتجاجية لوسائل الإعلام خاصة الإلكترونية فى عملية التعبئة السياسية، حيث تلجأ هذه الحركات إلى هذا الفضاء الإلكترونى لعدة أسباب منها، التضييق على الحريات، بالإضافة إلى كونها وسيلة لنشر المعلومات بدون رقابة، فضلا عن أنها ساحة للمناقشات الحرة لكافة المواطنين، ووسيلة تمنح فرصا متساوية للتعبير السياسى .

وتستخدم الحركات الإحتجاجية شبكة الإنترنت بوسائطها المتعددة من المدونات والمنتديات، والشبكات الاجتماعية فى عملية التعبئة السياسية، من خلال تدشين حملات عبر هذه المواقع، تساعد على تعريف مستخدمى الإنترنت بأهداف هذه الحركات وتتم عملية التعبئة على مستويين أولهما، تكوين أراء عن هذه الحركات،وثانيهما،يتعلق بمرحلة السلوك عقب اقتناع جمهور المستخدمين بأهداف هذه الحركة [٤١].

ويمكن استخدام المواقع الإلكترونية فى عملية التعبئة السياسية من خلال : نشرها لبعض الأحداث،وخاصة المرتبطة بعدم المساواة،وانتهاك حقوق الإنسان، وعدم اتاحة الحق للأقليات فى تقرير مصيرها، وكشف مظاهر الفساد، والتركيز على سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم يتم توظيف وسائل الإتصال التفاعلى كآلية للحشد والتعبئة لثورة ٢٥ يناير .

٢- التحليل النظري لتفسير أسباب اندلاع الثورات :

إن النسق المعرفي والإدراكي في العلوم الاجتماعية لم يكن معنيا بالفعل الثورى فى الأساس، وإنما معني بفكرة الاستقرار السياسي . ولهذا السبب، لم يكن بإمكانه إدراك التوتر البنيوي والاجتماعي الموجود في المجتمعات العربية . كما لم يرصد هذا النسق تشكل قوي اجتماعية وحركات جديدة، وعمليات التعبئة المؤثرة التي قامت ببناء شبكة العلاقات والتفاعلات التي اسهمت في إشعال فتيل الثورة . كما لم تركز علي دور وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة والتي لم تختبر من قبل في المنطقة، ولم يتم بعد إجراء دراسات لقياس تأثيرها وتداعياتها المختلفة (٤٢) .

ولم يستطع الجيل المهيمن في المؤسسات الأكاديمية والبحثية الكشف عن التحولات في مزاج وثقافة الأجيال الجديدة التي مرت بعملية تنشئة سياسية واجتماعية تختلف إلي حد كبير عما تعرض له كثير من الأجيال السابقة من خبرات ومهارات . لقد توفرت لهذا الجيل العديد من المميزات والخصائص التي أضفت عليه قدرا كبيرا من الوعي والقدرة علي الحركة والنشاط والرغبة في تغيير مجري الأحداث (٤٣)، وكان من أبرزها ما أتاحته وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة إلي جانب الدور الذي لعبته الفضائيات والوسائط الإعلامية الحديثة في تغطية أخبار الثورة، وتقييد يد أجهزة القمع والتصدي للثائرين .

وتشير أدبيات العلوم السياسية إلي ثمة مجموعة من العوامل تساعد علي اندلاع الثورات، إذا ما توافرت في المناخ العام، من بينها فقدان النظام الحاكم للشرعية، وعوامل المرونة والإستجابة لمطالب ملحة، وفقدان الزعيم لمصداقيته وشرعية وجوده وبقائه في السلطة (٤٤). خاصة وأن المجتمع المصري قد عرف علي مدار تاريخه السياسي والاجتماعي كثيرا من الثورات والتحولات التي شاركت فيها معظم القوي الوطنية وفئات المجتمع وشرائحه المختلفة، وهي ثورات ارتبطت في الأساس برغبة المجتمع وقواه السياسية والفكرية في التغيير الجذري، والقضاء علي الأوضاع الفاسدة التي كانت تسود هذا المجتمع في هذه الفترة أوتلك (بدءا من الثورة العرابية ١٨٨١، مرورا بثورتي ١٩١٩ و١٩٥٢، وانتهاءا بثورتي ٢٥ يناير ٢٠١١ التي أطاحت بنظام مبارك، و٣٠ يونيه التي أسقطت حكم الإخوان) .

وعلي الرغم من أن لكل ثورة خصوصيتها، إلا أن هناك بعض العوامل يمكن اعتبارها شروطا أساسية قبل حدوث الثورة، منها أن السنوات التي تسبق اندلاع الثورة الفعلي تشهد سيلا من الإحتجاجات ضد طغيان الحكومة، وأكواما من الكتابات (كتب، صحف، بيانات، مسرحيات، خطب ...)، وتفجرا في نشاط الجماعات الضاغطة صاحبة المصلحة في الثورة، ومن ثم تندلع الثورات خاصة مع مهاجمة هذه الأنظمة والتطلع إلي إحداث تغيير كبير في المجتمع والنظام القائم(٤٥)، وقد اهتم الفلاسفة والمفكرون منذ القدم بالبحث في أسباب الثورات، حيث أشار أرسطوإلي أن السبب الأساسي وراء اندلاع الثورات هوعدم المساواة وغياب العدالة التي تؤدي إلي مزيد من الإحتكار والغطرسة والخوف وغياب التوازن بين القوي الرئيسية في الدولة . ويؤكد (أرسطو) علي أنه إذا كانت النظم السياسية ترغب في البقاء والاستمرار، وتجنب قيام الثورات ضدها، فعليها الإمتثال للقوانين القائمة، والإلتزام بالسلطات والصلاحيات المخولة لها، والعمل علي تحقيق التوازن بين قوي المجتمع وممارسة الإنضباط قدر الإمكان (٤٦).

لقد اهتم العلماء في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بدراسة ظاهرة الثورة، وكان النموذج الذي يؤخذ في الإعتبار كنموذج للثورة في ذلك الوقت هونموذج الثورة الفرنسية ١٧٨٩ لأنها الأكثر تأثيرا وشهرة في أوروبا في ذلك الوقت . وإذا كنا بصدد تقديم تفسيرات نظرية للثورة فلابد من الإشارة إلى بيان الحزب الشيوعى الذى كتبه (كارل

ماركس K. Marx، وفريدريك إنجلز (F. Engels 1848)، لأنه بمثابة نقطة البداية لتفهم حركة تغير وتحول المجتمعات بشكل عام، حيث طرح ماركس وإنجلز أحد أهم المفاهيم النظرية لتفهم حركة التاريخ، وهومفهوم نمط الإنتاج، والذى يتحقق من خلال العلاقة بين قوى الإنتاج (العمال) وعلاقات الإنتاج (القدرة على التنظيم) وهى العلاقة التى ينتج عنها عدد من التناقضات التى لا يمكن تفاديها، أى تحدث الثورة عندما تصل هذه التناقضات لمرحلة تتغير فيها ملكية أدوات الإنتاج من طبقة إلى أخرى . وبذلك تصبح حتمية الثورة مرهونة بصراع الطبقات عند ماركس وإنجلز .

وإذا كان ماركس فى المرحلة الكلاسيكية يربط بين صراع الطبقات وقيام الثورة، فنجد (صامويل هانتجتون S. Huntington) يربط بين عملية التحديث وقيام الثورة، حيث يرى أن أحد أهم أبعاد التحديث هوزيادة الطلب على المشاركة السياسية من قبل أعضاء المجتمع، وعندما تكون هناك جماعات فى المجتمع لا تملك حق المشاركة السياسية، بل ولا تملك حتى أى سبيل لتكون جزءا من السلطة السياسية فى المستقبل، تبدأ هذه الجماعات فى المطالبة بالتغيير وفتح المجال السياسى، وهوما قد يؤدى إلى قيام الثورة . ووفقا لهانتجتون، لاتحدث الثورة فى المجتمعات التى لم تمر بأى مرحلة تحديث سياسى أواجتماعى، كما أنها لا تقوم فى المجتمعات الحديثة التى مرت بمرحلة التحديث منذ وقت طويل . ولكن الثورة فى الأغلب تحدث فى تلك المجتمعات التى شهدت القليل من التحديث، وبالتحديد تقوم الثورة عندما يسبق التحديث الاقتصادى والاجتماعى عملية التحديث السياسى [٤٧]، وفى نموذج مصر قبل يناير ٢٠١١ حيث كان هناك تطور اقتصادى ملموس، ونخبة من رجال الأعمال التى بدأت بالفعل وبرعاية الدولة فى تغيير شكل الهيكل الاقتصادى فى مصر، وكانت قريبة جدا من تحقيق تغيير مماثل فى الهيكل الاجتماعى من خلال خلق طبقة اجتماعية جديدة من الموظفين فى القطاع الخاص، ولكن لم يقابل هذا التطور أى تطور مماثل فى المجال السياسى، لذا زادت الفجوة اتساعا مما كان سببا فى قيام الثورة .

أما (تشارلز تيلى CH. Tilly) فقد انصب اهتمامه بالفاعلين فى الثورة أكثر من السياق العام للمجتمع والدولة التى اتسمت بها نظرية هانتجتون. ولذا رأى تيلى أن الثورة، قيامها ونجاحها، تعتمد على توافر الموارد لدى الفاعلين المختلفين فيها . حيث يرى أن الثورة تقع عندما تملك مجموعات فى المجتمع الموارد الكافية للضغط على الحكومة أوالنظام من خلال المطالبة بالتغيير، وفى نفس الوقت تفتقر الحكومة للموارد التى تسمح لها إما بإحداث هذا التغيير أوقمعه [٤٨]. وانطلاقا من هذه الرؤية وهذا الإفتراض جاءت نظرية تيلى (تعبئة الموارد)وهى نظرية تعتمد على العمل الجمعى المنظم من قبل مجموعات مختلفة فى المجتمع، وخلافات هذه المجموعات مع الدولة، والموارد وفقا لتيلى، تتضمن النقود أوالقدرة المالية، والموارد البشرية، وتواجد الخبرات، وتوافر المعلومات، ووجود القيادة .

ويؤكد "تيلى" [٤٩] على أن الثورة هى عملية انتقال للسلطة من فريق لآخر، وتتم من خلال عمليتين، الأولى، وهى "الوضعية الثورية"، والتى تأتى على خلفية أزمات المجتمع خاصة الأزمات السياسية، وتتم هذه العملية من خلال :

- ظهور تحالف يطالب بالسلطة، ويسعى لها بالاعتماد على التناقضات الموجودة فى الدولة.
- حشد الأفراد خلف هذا التحالف ومطالبه .
- عجز النخبة الحاكمة عن القضاء على التحالف، الذى يسعى للسلطة .

أما العملية الثانية، فهى "النتيجة الثورية"، وتتضمن عملية انتقال السلطة، والقضاء على سلطة الحكم القديمة .

أى أن "تيلى"، يؤكد على أن الثورة يحركها الوعى الهادف نحوتحقيق المصالح، وتقوم الثورة عندما تستطيع الحركات الثورية تحقيق المصالح بالإعتمادعلى التعبئة والحشد للأفراد، حيث أن الحركات الثورية ما هى إلا وسائل لتعبئة موارد الجماعة التى قد تعرضت للقمع من قبل سلطات الدولة .

ويمكن أن نعرض لأربعة مواقف فكرية فى التراث النظرى المعاصر تفسر اندلاع الثورات وهى [٥٠]:

الموقف الأول : وينطلق من مفاهيم وتصورات اقتصادية – حيث أن الثورة فى المقام الأول هى ظاهرة اجتماعية لها أسباب اقتصادية واضحة (وتحتل وجهه نظر ماركس أهمية خاصة فى هذا المجال) أى أن الثورة تنجم عن زيادة البؤس وانتشار الفقر .

الموقف الثانى: ويرى أن الثورة ظاهرة اجتماعية قد تنشأ نتيجة فشل المجتمع فى مواجهة المتطلبات الاجتماعية للجماهير، ومن المحاولات النظرية التى تتسق مع هذا الموقف تلك التى قدمها (جونسون Johnson) حيث عرض تصنيفا لمختلف الحركات الثورية، ميز فيها بين التمرد الفوضوى، والثورة الراديكالية، والإنقلاب التآمرى، والعصيان الجماهيرى المسلح .

الموقف الثالث : وينطلق من قضية أساسية، وهى أن الثورة تستند إلى إحساس الفرد بالإغتراب عن المجتمع الذى يعيش فيه، ومن أبرز أنصار هذا الإتجاه من علماء الإجتماع (تالكوت بارسونز T . Parsons، وروبرت ميرتونMerton . R)، وعلى الرغم من أن معظم أعمالهما قد انطلقت من مفاهيم سوسيولوجية فى معالجة الظواهر الاجتماعية، إلا أن تحليلاتهما كشفت عن نزعة سيكولوجية واضحة، حيث كانت الحركات الثورية فى نظرهما وكأنها حالات مرضية علاجها ربط الفرد بالمجتمع وتكامله معه.

الموقف الرابع : ويتجه إلى أن الثورة ظاهرة سياسية، تتعلق فى الأساس باستبدال القوة السياسية، ويمثل هذا الموقف (أرسطو، وميكافيلى، ولوك) ونتيجة لذلك يمكن تفسير التحولات الاجتماعية فى ضوء المعنى السياسى للثورة، بمعنى أنه بدون وجود عنصر التغير السياسى، فإنه يصعب وصف التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية بأنها تغيرات ثورية بأى معنى من المعانى .

ورغم هذه المواقف الفكرية المتعددة، إلا أن هناك شبه اتفاق على أن لكل ثورة خصوصيتها التاريخية، التى تنبع من الظروف والسياقات التى تحيط بالثورة، وطبيعة العمليات المصاحبة لها، والنتائج المترتبة عليها . ولكن رغم الحرص على تأكيد هذه الخصوصية فى قيام الثورات، إلا أن ثمة محاولات لبحث العوامل المشتركة التى يمكن أن تولد الثورة، أيا كانت الظروف المحيطة بها . ومن أهم المحاولات فى تفسير قيام الثورات المحاولة التى قام بها (تيد روبرت جور Ted Robert Gure) فى كتابه : "لماذا يثور الناس ؟ " والذى طرح فيه فرضية تقوم على أن الثورة هى نتاج تلاقح بين الحرمان وتدهور شرعية النظام السياسى، ونموالأفكار الثورية . فكلما ازدادت رقعة الحرمان فى المجتمع، وكلما تقلصت شرعية النظام، وكلما نمت الأفكار الثوريـة، كلما كانت قدرة الناس على الثورة والتمـرد كـبيرة [٥١] .

أى أن هناك ثمة علاقة تربط بين وهن الدولة وضعفها فى إدارة موارد المجتمع، وبين نموالحرمان وتعدد مصادره، وبين نموالأفكار الثورية، وتعدد مصادرها أيضا . ليست شرعية الدولة هى الأساس بل قدرتها على تلبية حاجات الناس، وعلى تعبئة الموارد من أجل تنمية مستدامة، وعلى انفاذ متطلبات الإستقلال والعدل . حتى أن الفشل فى الإدارة الرشيدة لموارد الدولة يؤثر تأثيرا سلبيا على الشرعية . أما مفهوم الحرمان فقد أكد "جور"

على أنه نسبى، ولكن الحرمان لايتشكل على أسس مادية فحسب، بل يمتد إلى صور من الحرمان الاجتماعى والسياسى والنفسى . يشى الحرمان هنا بأنه عملية سلب للوجود الاجتماعى للأفراد . أما الأفكار فإن الثورة المصرية المعاصرة قد كشفت عن أن الأفكار لايجب بالضرورة أن تكون عاكسة لأيديولوجية محددة، أولعقيدة محددة، بل هى أفكار ثورية من هنا وهناك لا تشى بأيديولوجيا قدر ما تشى "بطاقة غضب وتمرد" تتولد على نحووئيد فى رحم البناء الاجتماعى إلى أن تصل إلى حد الإفاضة . تتولد الثورة هنا من نضالات الحياة اليومية المتأسسة على الشعور بالحرمان على مستويات عديدة، تترعرع على ضفاف الدولة الواهنة التى أصابها العجز والشره، وهى تعبر عن نفسها بأساليب مختلفة ومبتكرة من وحى اللحظة أووحى الشعور اليومى بالحرمان، وتختلف هذه النضالات اليومية من النضال الصامت السلبى عبر الإمتعاض والإنسحاب والنقد الشفاهى، إلى الجماعات المنظمة التى تقوم على شكل من أشكال التشبيك الاجتماعى، مرورا بالإحتجاجات العارضة والخطاب الثقافى والإعلامى المحمل بالثورة [٥٢].

هدف الدراسة الاول : الكشف عن أسباب عجز وإخفاق الوسائط التقليدية (السياسية والفكرية والاعلامية) عن مسايرة الفعل الثورى :

أزمة الوسائط التقليدية، السياسية والفكرية والاعلامية :

لعبت الوسائط التقليدية، السياسية والفكرية والاعلامية دورا هاما كمحرك لتنشيط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فالممارسة الديموقراطية تفقد وضوحها في غياب هذه المؤسسات التي تعمل كصمام أمان ضد استشراء الإستبداد والفساد بأشكاله المختلفة من خلال صيانة الحقوق السياسية والاجتماعية والمدنية والثقافية والدينية للمواطن . ويفترض في هذه المؤسسات ان تمتلك برامج ورؤي شاملة للإصلاح في مختلف الميادين تتسم بالتجدد لمواكبة مختلف التطورات التي تعرفها المجتمعات البشرية في شتى المجالات .

غير أن تعثر مسيرة تجارب هذه المؤسسات في معظم الدول العربية التي مازالت شعوبها تعاني الإضطهاد السياسي، والتهميش، ومن غياب الحريات العامة، أدي الي جعلها مؤسسات فارغة معزولة عن الشارع السياسي مما أدي الي نشوء حالة شبه شمولية من عدم الثقة والرضا في معظم القوي السياسية والمدعية لأدائها الضعيف، وأدوارها الغائبة، فهي لم تستجب لطموحات الشارع، ولم تتناغم مع متطلباته السياسية . وفيما يلي نعرض لهذه الوسائط وموقفها حيال مسيرة الفعل الثوري :

١ - القوي الحزبية :

إن تنظيم العلاقة السياسية بين مؤسسات الدولة الحديثة بما فيها العلاقة بين الحاكم والشعب تستوجب وجود تنظيمات سياسية تضمن الحريات العامة واستقلال سلطات الدولة وتوزيع الصلاحيات، وتمنع التفرد بالسلطة أواحتكارها، وتشكل رقابة دائمة علي أدائها في كل النواحي والمجالات، وهذا من أدوار الأحزاب السياسية .

وقد انقسمت أراء المحللين حول دور القوي الحزبية في الفعل الثوري بين مؤيد ومعارض، فهناك من يري أن لها دورا كبيرا ومتميزا في تهيئة البيئة الاجتماعية وشحن الحالة السياسية ورفع وتيرة الاحتجاجات المتراكمة حتي وصلت لحظة الذروة، ومن ثم الانفجار . وهناك من يري سلبية الأحزاب التقليدية وعدم مساهمتها في انتاج الثورة أوالمشاركة فيها، بل أنها كانت عقبة أمام الثورة ومعيقا للإصلاح الحقيقي، مما يدل علي ضعف حضورها وتأثيرها في الخريطة السياسية العربية وفي مجتمعاتها المحلية [٥٣] . إضافة إلي التحفظات الكبيرة علي دور الأحزاب المحسوبة علي صفوف المعارضة، أوعلي صفوف الإئتلافات الحزبية مع الحزب الحاكم وتخلفها عن حركة الناس والشارع الشعبي

العربي، واندماج بعضها في بني الأنظمة الحاكمة حتي كادت تفقد هويتها السياسية والفكرية.

حيث أن القوي الحزبية التقليدية هي قوي كانت لها مصالحها مع النظام السياسي، ومعارضتها لبعض سياساته أوسياسيات الحزب الوطني الحاكم كانت ذات طبيعة مسرحية. كما كان وجود معظم قادتها مرهونا بوجود الحزب الوطني . وقد فوجئوا بالحدث الثوري وحاولوا ركوب قطار الثورة لقيادته ولكنهم كانوا من داخلهم رافضون للحدث الثوري الذي بدل كل الأحوال، غير أن أيديهم أخذت تصفق تعبيرا عن إعجاب مظهري بالثوار [٥٤].

هذا بالإضافة إلي أنه من أسباب التعثر الديموقراطي ضعف وتشتت المعارضة السياسية، مما جعلها عاجزة عن الإلتحام بالقواعد الشعبية وتعبئتها لتكوين رأي عام قوي يدعوإلي التحول الديموقراطي الحقيقي . أي أن فشل أحزاب المعارضة ليس مرجعه فقط إلي القيود المفروضة من قبل الحكومات علي حركتها وإنما يرجع لعجزها عن التجدد المعرفي فيما يتعلق بالتحولات الأساسية للمجتمع العالمي وانعكاساتها علي الاوضاع المحلية في كل بلد عربي [٥٥]، بالإضافة إلي عدم القدرة علي صياغة رؤية استراتيجية بديلة للرؤي الرسمية السائدة من شأنها تغيير اتجاهات الرأي العام وتبصيره بأن هناك سياسات بديلة يمكن أن تكون أكثر فاعلية في سد الإحتياجات الأساسية للجماهير العريضة، وتحقيق التحديث الفعلي للمجتمعات من السياسات الحكومية القاصرة .

ونتيجة ضعف وهشاشة القوي الحزبية التقليدية عن استقبال التطورات الاجتماعية وتبني المطالب الاجتماعية واحتوائها كان ذلك دافعا لوضع الأزمة، ونموحركات الرفض الاجتماعي والسياسي، التي تعبر عن نفسها في مختلف الأشكال من الحركات والاحتجاجات وخروجها عن الأطر المؤسسية والحزبية[٥٦] .

٢ - <u>النخبة السياسية والفكرية (المثقفون)</u> :

تعاني النخبة السياسية والفكرية من الانقسام حيث تتوزع النخبة بين معسكرين : الإسلاميون بفصائلهم ومجموعاتهم المختلفة من ناحية، وعناصر النخبة المدنية المشكلة من الليبراليين والقوميين واليساريين من ناحية اخري [٥٧] . ورغم أن حالة الإنقسام والإستقطاب بين هذين المعسكرين سابقة علي ثورة ٢٥ يناير، إلا أنها تزايدت بعدها، حيث بدأت مع التعديلات الدستورية والاستفتاء عليها، وما أثير بخصوص الدستور أولا أوالإنتخابات أولا، ثم استمرت بشأن طائفة واسعة من القضايا، مما جعلها عاجزة عن بناء توافق وطني حقيقي يشكل ركيزة لمعالجة مشكلات الحاضر والإنطلاق نحوالمستقبل .

كما تعاني النخبة السياسية المصرية بمختلف انتماءاتها من غياب أوضعف التكوين الديموقراطي حيث لا تؤمن ايمانا حقيقيا بالقيم والمبادئ الديموقراطية، فقد غابت عن ممارسات هذه النخبة قيم وفضائل ثقافة الديموقراطية مثل : القبول بالتعدد والإختلاف في المصالح والرؤي، والتسامح السياسي والفكري، والإلتزام بالحوار والتفاوض كألية لحل الخلافات، هذا فضلا عن تردي قاموس التعامل السياسي، حيث أصبحت مفردات التخوين والعمالة والانتهازية، وتبادل الشتائم والتجريح الشخصي علي الهواء مباشرة، والخوض في الحياة الخاصة والأعراض ...وغيرها، أصبحت هذه الأمور من أبجاديات التعامل فيما بين فصائل النخبة[٥٨] .

أما عن النخبة الفكرية والمثقفة فنظرا للدور الذي تلعبه في تشكيل وعي المجتمع والتأثير عليه حرصت الطبقة الحاكمة علي احتوائها وتهميش فاعليتها، بل أكثر من ذلك عمدت إلي محاولة تغييبها وذلك من خلال تسخير الأجهزة الأمنية لمضايقتهم أوباستخدام أسلوب

الإغراء قصد انتاج طبقة مثقفة موالية ومسايرة لأهدافهم المتمثلة في حماية وجودها وضمان استمراريتها. وأمام هذا الواقع انقسم المثقفون إلي فئات هي :
- مثقفون موالون للسلطة .
- مثقفون أغلقوا الباب علي أنفسهم خوفا من القمع من جهة ورغبة في عدم الإستجابة لسياسة الإحتواء من جهة اخري .
- مثقفون فضلوا الهجرة من الواقع المؤلم
- مثقفون واصلوا رسالتهم ، فتعرضوا للإعتقال والتضييق والحصار للنيل من عزيمتهم وإجبارهم علي الخضوع، والإستكانة (٥٩).

وكان نتيجة ذلك أن أصبح المثقفون يعيشون بعيدا عن الواقع المعاش، وغائبين عن مسايرة التحولات المجتمعية، وإن كانوا ليسوا من القوي الرافضة أوالمعادية للثورة، إلا أن حواراتهم الإعلامية، قد تسببت في إثارة نوع من الفوضي في الشارع المصري كحواراتهم حول تشكيل مجلس مدني، أوضرورة تشكيل دستور متكامل، أوالجدل حول تقديم الإنتخابات الرئاسية علي البرلمانية (٦٠). وهذا كله مرجعه إلي انقسام النخبة علي نفسها، قطاع منها تتضافر مصالحه مع مصالح النظام السياسي ومن ثم فهويوجه الإدانة للحركات الاجتماعية وللجماهير، بينما قطاع أخر يسعي إلي التغيير وينتقد النظام السياسي غير أنه غير قادر علي الإلتحام مع الحركات الاجتماعية والجماهير(٦١) .

٣ - <u>المجتمع المدني</u> :

تموج الساحة الاجتماعية بالعديد من مؤسسات المجتمع المدني تتوزع بين منظمات تعني بحقوق الإنسان ومنظمات تسعي للدفاع عن التنمية وحرية المرأة وحقوق الطفل، وجمعيات مهنية وغيرها . وكان المواطن ينظر إليها كقوة مضافة إلي الأحزاب السياسية والإطارات النقابية للمطالبة بالإصلاح والتغيير، غير أن أداءها علي مستوي الممارسة الواقعية يفتقر إلي الفعالية والمردودية، فانتهت إلي ما انتهي إليه الفاعل الحزبي والنقابي بأن تحولت إلي مؤسسات صورية وشكلية لإستكمال المشهد، فانهارت بفعل ذلك طموحات فئات عريضة من المواطنين في بناء مؤسسات وتنظيمات قادرة علي الحد من سطوة النخبة الحاكمة التي تتحرك في كل الإتجاهات (٦٢) . حيث تم تضييق مجال المجتمع المدني وحصره في تقديم الخدمات الاجتماعية، واستبعدت ما أمكن أشكال التنظيم التي تمكن من التعبير عن قيم المواطنة والحرية والإستقلالية .

وتعاني معظم مؤسسات المجتمع المدني في الوطن العربي من التوتر في العلاقة مع أجهزة الدولة ونظامها السياسي الذي يضع ضمن أولوياته الأولي مراقبة فضاء الفل السياسي والاقتصادي والثقافي مراقبة شديدة مما يستحيل معه ظهور أية مؤسسة أوتنظيم جماعي لا يحظي بالموافقة المسبقة لأجهزة النظام المختصة . فقد سعت العديد من الأنظمة السياسية العربية إلي تسخير أجهزتها وسياساتها في خدمة مركزيتها وشمولية أنظمتها، فتبنت أساليب التضييق علي كل من يحمل توجها لبناء مجتمع مدني حقيقي بعيدا عن سلطة الدولة (٦٣). هذا ما حرم المجتمعات العربية من نقطة الإرتكاز الضرورية لبناء هياكل ومؤسسات من طبيعة مدنية، أي قائمة علي أسس قانونية سياسية عقلانية وعلي الشراكة بين مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات .

ومما سبق يتضح أن المجتمع المدني ومؤسساته يعد من الفواعل الرئيسية في أي نظام ديموقراطي بحكم أنه هوالذي يعبر عن تطلعات الرأي العام إزاء السلطة السياسية، غير أن مؤسسات المجتمع المدني العربية لا يمكن لها أن تلعب دورا رئيسيا إلا إذا استطاعت تكريس استقلالها عن النظم السياسية، ووضع برنامج عمل ديموقراطي، والقدرة علي بناء

تحالفات مع قطاعات أخري في المجتمع، مثل الأحزاب السياسية للانتقال من مجرد الحراك السياسي إلي التحول الديموقراطي الحقيقي (٦٤).

ولعل ذلك صحيحا حيث أن ظاهرة المجتمع المدني، لا تنموونتطور إلا في ظل مجتمع حر مكون من أفراد متمتعين بمواطنتهم، ويتبادلون بشكل عادل نتاج وثمار العمل الاجتماعي ويعملون علي تدعيم الأسس الديموقراطية لتداول القيم والمصالح في سياق منظم وقانوني واضح، غير أن كل ذلك يتطلب ثقافة سياسية تقوم علي المشاركة والاختلاف والتعددية وتساهم بالتالي في خلق فضاءات اجتماعية وسياسية جديدة . وهوالمناخ الغائب علي مستوي المشهد السياسي حيث أن أجهزة الدولة تسيطر علي كافة فضاءات التعبير وتراقبها ولا تسمح إلا بهامش ضئيل من النقد والإحتجاج الذي يجب أن يتجاوز في شتي الحالات الحدود المسموح بها .

٤ - وسائل الإعلام التقليدية :

تتشابه في الغالب السياسات الإعلامية بصفة عامة في عدة دول عربية علي مستوي احتواء الإعلام وادماجه في مؤسسات السلطة السياسية، وتوظيفه لأغراض سياسية، ايديولوجية ودعائية وذلك علي حساب حق المواطن في اعلام موضوعي نزيه يخدم مصالح المجتمع والمواطن قبل كل شئ . حيث تقوم الأنظمة الحاكمة بتوجيه وسائل الاعلام علي مستوي الموضوعات المتناولة والقيم التي يتم تكريسها والاختيارات السياسية. مما يؤدي في الغالب إلي تغييب المعارضة والنقد الموضوعي لصالح خطاب أحادي لا يحترم حق المواطن في إعلام متعدد منفتح وديموقراطي . وغالبا ما تنتظر المؤسسات الاعلامية أثناء الأحداث الطارئة، التوجيهات والتعليمات الرسمية للتحرك، وهذا ما يؤدي إلي فقدان مصداقية الإعلام وانعدام ثقة المواطن في وسائل الاعلام الرسمية، فضلا عن اتصافها بطابع السرد والوصف والتقريرية، وبتقديم الوقائع والأحداث بشكل منعزل عن التحليل المتعمق لتفسير دلالات الأحداث وسياقاتها العامة السياسية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية(٦٥).

ومنذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي قامت معظم البلدان العربية بإعادة هيكلة قطاع الاتصالات . وكان لقدوم الهاتف النقال والإنترنت إلي المنطقة العربية دور هام في إعادة النظر في قطاع الإعلام وتم الشروع في سياسة خصخصة قطاع الإتصالات وتحريره . ورغم ذلك فإن احتكار الدولة وهيمنتها مازالت سائدة خاصة في مجالات الاتصالات التقليدية . وبشكل عام هناك غياب للشفافية والتدفق الحر للمعلومات والأفكار داخل العالم العربي . ولم يتم إعارة اهتمام كبير للسياسات الإعلامية في العالم العربي (٦٦)، وفي غالب الاحيان لم يكن هناك وعي بأهميتها، فقد كانت هناك عفوية وارتجالية في رسم السياسات العامة وغياب لإستراتيجيات إعلامية علي المدي البعيد . وعدم الإقرار بأن ملكية الدولة لوسائل الإعلام يعني ملكية الشعب لها، أدي إلي أن السياسات الإعلامية لم تكن تستجيب لإحتياجات المجتمع وآمال المواطنين بل وغياب قوة وتأثير الرأي العام لضعف وسائل الإعلام وعدم اهتمامها بمتطلبات وخيارات المواطنين .

وعلي الرغم من كل الملاحظات الجوهرية والأساسية لدور وفعل وتأثير القوي والأحزاب المختلفة والنخب السياسية والفكرية إلا أنه من التعسف انكار الأدوار التي قامت بها بعض الأحزاب التي هيأت وعملت علي شحذ الهمم، ومراكمة عملية تعبئة الشارع والناس خلال سنوات طويلة من عملها ووجودها علي الارض، وعلي رفع منسوب الإحتقان في وجه الأنظمة الطاغية داخل بلادها، ومن هنا، فان الحديث عن عفوية الزلزال الشعبي العربي المتواصل في العديد من بلدان العالم العربي، ليس صحيحا بالمطلق ولا

يعني البته تغييب أدوار تلك الأحزاب والقوي عن الفعل الشعبي والحراك الجماهيري وقد كانت تلك الأحزاب تعيش حالة من الحراك متواصل في التأسيس لنهوض الشارع العربي، ولا ننسي في الوقت نفسه أن معظم أحزاب المعارضة العربية بكافة أطيافها الفكرية والايدولوجية، حرمت من القيام بدورها في المشاركة السياسية وتعرضت بشكل عام لقمع شديد، ولحملات تنكيل متواصلة في مختلف بلدانها، ووصلت الأمور إلي حدود حظر نشاط وعمل غالبيتها، ومنعها من العمل العلني، بل وملاحقتها وزج قاداتها وكوادرها في المعتقلات وتحت شروط قاسية من التعسف والتنكيل، وهوما أدي ببعضها إلي النزول تحت الأرض والعمل بشكل سري .

إن العفوية في اندلاع ثورتي مصر وتونس، وامتداد شرارات اللهيب باتجاه أكثر من قطر عربي، لا يعني البته أن الشارع هب ونهض من دون مقدمات . ويمكن القول بأن هذه المقدمات جاءت بكل الاحوال علي أيدي بعض الأحزاب والنخب السياسية والفكرية وعلي أيدي رجالات وشخصيات القوي الوطنية، وبالطبع لا يمكن اغفال موجات الإعلام الجديد وتقنياته التي كسرت كل الحواجز والسدود، والتي أبدع الشباب في استثمارها في سياق تحشيد الناس وتحريضهم للإنتفاضة علي واقعهم القائم، وعلي المظالم السائدة .

هدف الدراسة الثاني : التعرف على البعد السياسى لوسائط الاتصال التفاعلى الجديدة :

تزايد الاهتمام بدور وسائل الاتصال التفاعلي الجديدة في التأثير علي الحياة السياسية، بعد ان تحول دورها من مجرد كونها منصات للتواصل الاجتماعي وتكوين الصداقات الجديدة، إلي مواقع يستغلها مستخدميها للعمل السياسي وفق مفاهيم جديدة للمشاركة السياسية، ومناقشة همومهم المشتركة ومطالبهم من النظام السياسي الحاكم، وحشد الرأي العام خلف قضايا معينة للتأثير علي متخذي القرار، والضغط علي الحكومات والأنظمة السياسية، كما حدث في مصر وتونس وغيرهما من دول الثورات العربية، فضلا عن تحولها لتصبح أحد أهم وسائل القياس والتنبؤ بحركة الشارع، وأحد آليات دراسة الحشود الجماهيرية والاحتجاجات الشعبية .

١- خصائص وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة ومقومات انتشارها :

أ- شبكات مرنة البنية : تتيح هذه الوسائط فرصا أمام التواصل بين الأعضاء بشكل مستمر ومرن وايجابي، وذلك من خلال الشبكات الاجتماعية المنتشرة في المجال العام الإفتراضي، ويتميز المجال العام الإفتراضي بالمرونة، حيث تتأتي هذه المرونة علي وجهين : الأول، مرونة الانضمام : وترتبط هذه المرونة بعبور الأيديولوجيات، فهناك سهولة في الانضمام ومرونة في التواصل دون اعتبارات النوع أوالدين أوالجنس أوالسن أوالطبقة . والوجه الثاني للمرونة، يتمثل في مرونة التجدد : أي أن التجمعات التي تشكلت في المجتمع الافتراضي وحاولت النزول إلي السياقات الواقعية وباءت محاولتها بالفشل، لم تعد قسوة التجربة حائلا دون التجدد وإعادة تعبئة الجماهير للمطالبة بالحقوق المنقوصة، والمدرك للتجربة المصرية الأخيرة يدرك أن مرونة المطالب كانت بسيطة في بدايتها ثم أخذ سقف الطموحات يرتفع كلما حققت مكاسب تتواصل لتسعي إلي مكاسب أخري وهكذا مما يعبر عن مرونة في تطور الأهداف تبعا لمتغيرات الواقع (٦٧).

ب- القدرة علي طرح عدد كبير من القضايا : وذلك من خلال القدرة علي التواصل دون قيود الزمان والمكان في ظل الاتصالات الحديثة، ومن خلال القدرة الهائلة في طرح القضايا يمكن كسب التأييد والدعم .

ج- قلة التأثر بالفكر والايديولوجيا : إن مرونة الاتصال أدت إلي مرونة الفكر والتوحد حول الأهداف المنشودة، والتي يمكن من خلالها تجاوز النعرات الفردية والتحيزات الفكرية لدي بعض الأعضاء ولعل هذه هي أبرز سمات الاتصال والتفاعل والحوار عبر المجال العام الافتراضي .

د- استخدام الأداءات الحديثة : حيث تعتمد هذه الوسائط الاتصالية الحديثة علي الأداءات الحديثة، كالهواتف ورسائل البريد الالكتروني وغيرها من الأدوات الاتصالية التي تمكن من التواصل اللا فيزيقي للأفراد .

ه- بناء الهوية الجماعية : لقد نجح الإنترنت وفضاؤه في بناء هوية جماعية للمتفاعلين ولعل هذه هى الوظيفة الرمزية للتفاعل الإفتراضي،فلقد نجح هذا الفضاء في تشكل علاقات اجتماعية متعددة بين أفراد من هويات مختلفة تنصهر هذه الهويات - في ظل الاهتمام المشترك - داخل البنية الشبكية (٦٨).

و- التأرجح بين السياق الواقعي والافتراضي: حيث يتم الحوار المفتوح عبر الفضاء المعلوماتي بما قد يسهم بدوره في التأرجح بين السياق الواقعي والإفتراضي في ارباك الثقافات السياسية والثقافية السائدة في السياق الواقعي بما قد يشكل بدوره نواة لتحقيق أهداف الثوار في الواقع .

ز- ديموقراطية الوصول إلي المعلومات: من خلال هذه الوسائط الاتصالية تتحقق الديموقراطية العالمية، حيث يعبر كل من يشاء عن رأيه، ويشارك في اتخاذ القرارات وصنعها . كما أن هذه الوسائط الجديدة تقدم منابر لوجهات النظر المختلفة (٦٩)، أي أنها تتيح لفئات مختلفة من أفراد الجمهور العام الفرصة لأن يمثلوا أنفسهم بشكل مباشر ويعبروا عنها في حالة النقاش والحوار الجماهيري الذي يشكل النجاح العام في المجتمع. حيث أفرز الدمج بين تكنولوجيا الإتصال والمعلومات وبين العمل السياسى، أدوات وطرق عمل جديدة فى ممارسة العملية الديموقراطية، ونشر المناخ الملائم لتحفيز وتقوية المشاركة السياسية، وكذلك الإحتجاج والحشد والتعبئة للقضايا الهامة فى المجتمع .

ح- تعتبر أدوات تقوية وتمكين للجميع : فبعد الاستبعاد السياسي الطويل، وجد الشباب في وسائط الإتصال التفاعلي الجديدة بكل أشكالها طريقا لإيصال صوتهم إلي جميع أنحاء العالم، ومن ثم احداث التغيير .

ط- ظهور تقنية تمكين الهاتف المحمول : حيث لعبت كاميرا الهاتف المحمول والفيديوالمتصل بها دورا كبيرا خلال الإحتجاجات التونسية والمصرية، ففي مصر كانت سببا في اقدام الحكومة علي حجب شبكة الهواتف المحمولة، ومصادرتها من المحتجين

٢- وظائف وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة :

توجد علاقة طردية بين تطور وسائل الاتصال وتطور أدوات وآليات التعبير عن قيم الديموقراطية وهوما يمكن ملاحظته خلال السنوات الماضية، فبالإضافة إلي الوظيفة التواصلية التقليدية لوسائل الإتصال ظهرت العديد من الوظائف الأخري ومن أهمها :

أ - الوظيفة الإخبارية :

لقد أصبحت وسائط الإتصال التفاعلي الجديدة مصدرا مهما لتداول الأخبار في مختلف مجالات الحياة، سواء من خلال انتشار صفحات وسائل الإعلام التقليدية من صحف وقنوات تليفزيونية، أومن خلال تداول المستخدمين للأخبار التي يحصلون عليها سواء من مواقع عملهم أونقلا عن اصدقائهم . ويلعب في هذا السياق موقع تويتر دورا مهما، حيث يعد

بتغريدته محدودة الكلمات أقرب لتداول رؤوس عناوين الأخبار منه للتواصل مع الأصدقاء، وعادة ما يلعب موقع تويتر دورا مهما خلال أحداث العنف، والتواترات المتصاعدة، وقد برز هذا الدور لتويتر بشكل كبير في الثورة التونسية، كما اتضح في مصر خلال أحداث مجلس الوزراء، ومحمد محمود، وفض اعتصامي رابعة والنهضة (٧٠).

ب - الوظيفة السياسية التعبوية :

وهي الوظيفة التي استطاعت من خلالها وسائط الإتصال الجديدة لعب دور سياسي هام خلال موجة الثورات العربية، من خلال حشد الرأي العام وتحريك الجماهير للنزول إلي الشارع، وقد وظفت القدرة التعبوية لمواقع التواصل الاجتماعي بأكثر من نمط توظيفي، *أولها* : ذلك النمط الذي انتشر خلال الثورات العربية، وتم من خلاله الدعوة مباشرة للتظاهر والإحتجاج علي ممارسات النظم السياسية، أوبطريق غير مباشر من خلال التركيز علي مساوئ هذه النظم والتمهيد بشكل تدريجي للإحتجاج عليها، وهوما ظهر في بادئ الأمر من خلال المدونات الخاصة ببعض المدونين . فعلي سبيل المثال، تسبب نشر فيديوهات تعذيب الشرطة للمعتقلين، في إيجاد حالة من الإحتقان الشعبي ضد الشرطة، تبلور بشكل أكثر وضوحا بعد حادثة الشاب خالد سعيد، والتي كانت لصفحته علي الفيس بوك " كلنا خالد سعيد " دورا مهما في حشد الجماهير ضد ممارسات الشرطة . و*ثانيها* : نمط مستحدث إلي حد ما، وهوتوظيف مواقع التواصل الاجتماعي في الحملات الانتخابية للمرشحين من ناحية وللتيارات والأحزاب من ناحية أخري، حيث اتاحت هذه المواقع الفرصة للمرشحين للانتشار بشكل أوسع وبلا تكلفة، بعكس الحملات الانتخابية التقليدية التي تحتاج إلي الجهد والمال . و*ثالثها* : توظيف شبكات التواصل الاجتماعي من قبل الجهاديين لتعبئة وحشد المؤيدين لها، وهونشاط انتهجه تنظيم القاعدة، منذ تسعينيات القرن الماضي من خلال مواقع اليكترونية خاصة بالتنظيم، ثم مدونات لعناصر مجاهدة فيها، وهوما اتبعته من بعدها منظمات جهادية أخري، كان آخرها تنظيم داعش، الذي استخدم الفيس بوك واليوتيوب لبث أخباره، وجذب مؤيديه .

ولعل وسائط الاتصال التفاعلي الجديدة تأتي في علاقتها بالسياسة في إطار ظاهرة أشمل وأوسع أطلق عليها اصطلاحا (الديموقراطية الرقمية) والتي تعني توظيف أدوات جديدة للإتصال في العملية الديموقراطية في منتصف تسعينيات القرن الماضي لتواكب به انتقال التكنولوجيا التي توفر الانترنت للإستخدام العام، وهومصطلح يقصد به توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والإتصالات الرقمية في تداول المعلومات المتعلقة بممارسة مبادئ الديموقراطية بحرية، مثل المشاركة في بناء المؤسسات الحاكمة عبر انتخابات حرة، والمشاركة في اتخاذ القرار، وضمان الحرية الكاملة فى التعبير عن الرأى، وممارسة نوع من الرقابة علي الأجهزة التنفيذية للنظام الحاكم (٧١). أى أصبحت الديموقراطية الرقمية تفرض نفسها على الواقع الاجتماعى والسياسى للشعوب والمجتمعات، مما يحتم على الفاعلين بمختلف أطيافهم السياسية والاجتماعية والحقوقية، ضرورة التعامل معها والحرص على استثمارها خدمة للصالح العام .

٣- فعالية التوظيف السياسي لوسائط الاتصال التفاعلي الجديدة في مجال الثورة (مصر نموذجا) :

يعد التصاعد المستمر في عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي ووسائط الإتصال التفاعلي الجديدة عاملا مهما في تأكيد فاعلية التوظيف السياسي والدور الذي يمكن ان تلعبه في تغيير ملامح الحياة السياسية في مجتمع ما، إذ تجاوزت في ذلك تأثير وسائل الإتصال التقليدية بمراحل عدة، نظرا لمواكبتها السريعة للأحداث .

وتشير تجارب الثورات العربية عموما ومصر خاصة أداء هذه الشبكات لدور سياسي ما، قد اعتمد بشكل عام علي البيئة التي ينشط فيها مستخدميها، وهوما يمكن معه تفسير نجاح هذه الشبكات في اشعال احتجاجات شعبية في دول المنطقة، واخفاقها في دول أخري أكثر تقدما وديموقراطية، إذ كانت البيئة السياسية والاجتماعية العربية مواتية لهذه الإحتياجات في ظل انتشار ممارسات الفساد والقمع من قبل الأنظمة الحاكمة، والتي ركزت علي ابرازها شبكات التواصل الاجتماعي كذريعة لتحريك الشارع ضدها . في حين ساعد اخفاق الأنظمة السياسية في تحقيق التغيير الذي وعدت به، أوتراجعت عن وعودها في هذا الشأن، بالإضافة إلي تغول السلطة، وغياب الديموقراطية .

ومن ناحية أخري توفرت لوسائط الإتصال التفاعلي الجديدة عدد من الأدوات والآليات التي جعلت من الصعب اخفاء سلبيات النظم الحاكمة وممارستها القمعية، لاسيما في ظل وجود ما يطلق عليه المواطن الصحفي [٧٢]، وعلي الرغم من محاولات بعض السلطات تقليص الحرية الممنوحة لمستخدمي هذه الوسائل، وغلق بعضها، فإن السيطرة علي الفضاء الإلكتروني بات من الصعب بمكان تحقيق نجاحات ملموسة فيه، بالإضافة إلي ان اعتقال الناشطين والمدونين عادة ما يقابل بغضب شعبي واصرار علي مواصلة توظيف هذه الوسائل لكشف هذه الممارسات القمعية .

ويمكن القول أن وسائط الإتصال التفاعلي الجديدة قد اسهمت في خلق بيئة أكثر ثراء من المعلومات بشكل فاق بكثير تلك التي تقدمها وسائل الإتصال التقليدية، بل علي العكس فقد باتت الأخيرة تعتمد في تحديث أخبارها علي ما تقدمه وسائل التواصل من محتوي خبري مما أوقعها – الوسائل التقليدية – في مأزق التحقق من المعلومات وتدقيقها.

أى أن الشباب العربى عموما والمصرى خاصة، وجد بالإنترنت وبكل وسائطه متنفسا للتعبير عن أرائه وأفكاره وأطروحاته الفكرية والاجتماعية والسياسية التى تقمعها الحكومات والأنظمة السياسية مدعومة بجماعات الضغط وأصحاب المصالح والنفوذ، حيث أصبح الإنترنت ساحة للديموقراطية الإلكترونية أوالرقمية، تتميز بحرية وسهولة التعبير والقدرة على الإفلات من سيف الرقابة وقبضة المجتمع[٧٣]، فضلا عن كونها متاحة طول الوقت للجميع، كما غدا أهم وسيلة لتفعيل المشاركة السياسية للشباب العربى : التعليق على القرارات الرسمية بحرية ومسئولية، والإحتجاج الرقمى الفردى والجماعى، والمناصرة والحشد والتعبئة لقضايا معينة منها، المطالبة بالإصلاح السياسى والتحول الديموقراطى، والمشاركة الديناميكية الإنتخابية بما لها وما عليها، بالإضافة إلى قدرته على تفكيك وإنهاء هيمنة وسائل الإعلام التقليدية على صناعة وانتاج الخبر والمعلومة محليا ووطنيا ودوليا .

غير أن النجاحات التي حققتها شبكات التواصل الاجتماعي في المجال السياسي إبان فترة الثورات وعقبها بفترة قصيرة قد بدأت في التراجع النسبي، وقد ساهمت عدة عوامل في تعطيل توظيفها للعمل السياسي منها :

- حالة الاحباط التي اعترت الجماهير العربية من التطورات التي آلت إليها الأوضاع في دول الثورات، والدول المجاورة لها، والتي كان من المتوقع أن تسعي إلي تحقيق طموحات مواطنيها، بل ودخول بعضها في حالة من الإقتتال الداخلي، وفوضي، أوعلي الأقل استطاعت قوي غير مؤيدة من الجمهور الناشط علي هذه الشبكات في تحقيق مصالحها والاستفادة من الوضع الراهن، واتخذت مواقع الهيمنة علي مقدرات الدولة، سواء حدث ذلك عن طريق آليات سلمية أوعنيفة .
- غياب الشباب عن المشهد السياسي عقب الثورة، رغم كونهم القوة المحركة للشارع وإن غاب عنه القائد، كما مثلوالقوي الفاعلة الحقيقية في الفضاء الالكتروني عبر شبكات

التواصل الاجتماعي ووسائط الإتصال التفاعلي الجديدة عموما، فغابت العناصر الشابة عن تشكيلات حكومات ما بعد الثورات، كما خلا مشهد المناصب العليا في دول الثورات من هؤلاء الشباب، بل تم استهداف أغلبهم بحملات القمع والاعتقال والتشويه، لإجبارهم علي ترك الدور الأساسي لهم في تحريك الشارع عبر الفضاء الالكتروني .

- سلسلة الإجراءات التقليدية التي مارستها ولا تزال بعض الأنظمة علي مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة من ناحية واستحداث الإجراءات القانونية من ناحية ثانية لمواجهة نشاط مستخدمي هذه المواقع، وسن قوانين جديدة لتنظيم حركة الشارع، وضبط إيقاعه، مثل قانون التظاهر المثير للجدل في مصر، علي سبيل المثال، وذلك في ظل ما استطاعت هذه المواقع تحقيقه من ضغط علي الجهات الحكومية إبان وعقب الثورات .
- سيطرة مناخ اقتصادي صعب في العديد من دول المنطقة، علي مجمل الحياة اليومية، تسببت فيه الظروف السياسية والأمنية غير المستقرة عقب الثورات العربية، وشيوع ما يمكن وصفه بالقناعة لدي قطاع من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بأن الوقت في ظل هذه الظروف يعد غير مناسب لمواصلة النشاط السياسي من خلال هذه الشبكات .وأن تهديد أمن واستقرار الدول تحتاج إلي نمط آخر من الإصطفاف حول أجهزة الدولة ومؤسساتها .

وعلي الرغم من هذا الأفول النسبي للتأثير السياسي، يمكن ملاحظة ثمة امتداد للتأثير علي الحياة الاجتماعية علي الأقل، فعلي سبيل المثال، يمثل انتشار واقعة تداول فيديواستخدام العنف ضد الأطفال في أحد دور الأيتام في مصر من قبل مدير الدار، بشكل كثيف خلال شهر اغسطس ٢٠١٤،ضغطا من نوع خاص علي الأجهزة المعنية التي صارعت باتخاذ الإجراءات اللازمة لمحاسبة المتورط .ولازالت العديد من الحملات الاجتماعية علي الفيس بوك تلقي اهتماما كبيرا من المستخدمين وتلقي صدي في الشارع مثل صفحات " معا ضد التحرش " و" حملة مقاومة خطف الاطفال " والتي يلاحظ تفاعل الشارع معها من خلال تنظيم سلاسل بشرية لدعم فكرة هذه الصفحات .

هدف الدراسة الثالث : الوقوف على دور وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة فى التعبئة الافتراضية للفعل الثورى

١- آليات وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة فى عملية التعبئة الجماهيرية :

تتعدد آليات التعبئة الجماهيرية فى المجتمع الافتراضى من خلال وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة إلى عدة آليات منها :

أ – مجموعات الفيس بوك :

لقد أدى موقع الفيس بوك دورا أساسيا فى تعبئة الجماهير للمشاركة فى الثورة المصرية من خلال المجموعات المنتشرة على ساحته مثل صفحة (كلنا خالد سعيد) . حيث تشير التقديرات الحديثة إلى تزايد مستمر حول استخدام المصريين لموقع الفيس بوك (١.٩٠٠.٠٢٠ مستخدما من الذكور، و١.٢١٨.٦٤٠ مستخدما من الإناث) [٧٤] . حيث نجحت هذه المجموعات التى شكلها النشطاء السياسيون من النخب الشبابية المستخدمة للموقع فى تعبئة الجماهير وتحويلها من السياقات الإفتراضية إلى عالم الواقع . كما أن هناك الآلاف من الصفحات التى تشكلت أثناء الثورة، والتى أخذت ترتفع بسقف طموحات المطالب والدعوة إلى النزول فى الحشود المليونية.

ب – البريد الإلكترونى :

استطاعت رسائل البريد الإلكترونى أن تشكل هويات جماعية فى بناء الإحتجاجات، حيث أن هذه الرسائل البريدية أدت مجموعة من الأدوار فى التنظيمات السياسية، فهى، *أولا*، ساعدت فى تجميع المعلومات، التى بدورها شكلت وبلورت الفكر الحركى والفعل الثورى داخل بنية تنظيمية معلوماتية . و*ثانيا*، نشر المعلومات وتوزيعها فى مناحى شتى . و*ثالثا*، فعل الحوار والنقاش عبر البريد من منطلق الديموقراطية الرقمية، التى تستند على الفكر القائم على التشاور . و*رابعا*، مهمة التنسيق، حيث أفرزت الحوارات المستمرة دورها فى بلورة الأهداف وتنظيم التحرك بما لا يدع الفرصة للعشوائية . و*خامسا*، تفعيل المحصلة النهائية، ألا وهى، التأثير على صانع القرار . ومن هنا برز دور رسائل البريد الإلكترونى فى تحريك الحشود والجماهير من السياق الإفتراضى إلى الواقعى .

ج – الرموز والشعارات :

تحركت الثورة برمزية التعبير عبر صفحات الويب . والمقصود هنا برمزية التعبير، الصور والشعارات التى تتحرك على متصل الساحة الإفتراضية والواقعية . حيث ولدت هذه الشعارات من رحم الإنترنت وعبرت عن الواقع، مثل رفع صور من تم تعبئتهم للمشاركة فى الحشد الواقعى مصحوبة بكلمة ٢٥ يناير . كما قامت الصور التى التقطها المتظاهرون من ميدان التحرير بدورها فى عملية الحشد، وتبادلها المتفاعلون عبر وسائط الاتصال التفاعلى، وكذلك بعض صور الفيديوالتى تم التقاطها من الميدان ساهمت أيضا فى تحريك مشاعر الجماهير والتعبئة واستمرارية تشجيع الحشود للنزول إلى الشارع .

د – الهاتف المحمول :

إذا كان الإنترنت وشبكاته الإفتراضية تقتصر على فئة المتفاعلين فى سياقاته، فإن المحمول كآلية اتصال يستطيع من خلال الرسائل النصية أن يصل إلى عدد أكبر من المتفاعلين عبر سياقات المجتمع الإفتراضى وخارج هذه السياقات، مما يسهم فى تعبئة الجماهير من غير المستخدمين للشبكة، هذا *أولا*، و*ثانيا*، فقد ساهم المحمول فى الربط بين المحتجين فى الميدان ونشطاء المجموعات من خلال المكالمات الصوتية، وذلك لمواجهة التغيرات المستجدة مما ييسر مرونة التحرك . و*ثالثا*، التقاط الصور الميدانية ومقاطع الفيديوالتى تعبر عن واقع الإحتجاج، ونقل هذه الصور إلى سياقات المجتمع المحلى والصعيد العالمى، بما شكل آلية تواصل لكسب التأييد وتعبئة الرأى العام خاصة فى حالة التجاوزات على الصعيد الميدانى . و*رابعا*، اتاح تطور خدمات المحمول الإتصال بالإنترنت عبر الهاتف مما سهل التواصل الشبكى بين المعتصمين، مما زاد من صلابة الإحتجاجات . وقد أدركت الجهات المسئولة أهمية وسائل الإتصال التفاعلى الجديدة فعمدت إلى قطع أدوات الإتصال فى محاولة منها لمنع التنسيق بين المتظاهرين وذلك يوم ٢٨ يناير ٢٠١١[٧٥].

إن طرح هذه الآليات لا يعنى أنها الآليات الوحيدة المستخدمة فى وسائل الإتصال الحديثة التى ساهمت فى تشكل الفعل الثورى، فهناك آليات متعددة أخرى منها، المنتديات والمدونات والمجموعات الإخبارية، إلا أن الإشارة هنا كانت إلى أبرز الآليات التى ساهمت فى تحول الإحتجاجات من السياق الإفتراضى إلى الواقعى من واقع التجربة المصرية .

٢- التحول من السياق الإفتراضى إلى الفعل الثورى الواقعى :

يشير واقع الثورة المصرية إلى أنها جمعت بين ثقافتين فى تحرك الحشود والجماهير، الأولى، ثقافة الإنترنت التى حركت الثورة، والثانى، ثقافة المجتمع المصرى الذى انطلق منه الحشد إلى الواقع . لقد لعبت وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة دورها البارز فى الثورة

المصرية وصدقت مقولة (كاستيلز Castells) فى أن الشبكات الإجتماعية لها قدرة لا مركزية على التشبيك والتنسيق واتخاذ الإجراءات [٧٦]. كما ترجم المصريون فى ثورتهم الفكرة النظرية التى قدم لها (بويديراديز Boudourides) والتى تتمثل فى أن مرونة الشبكات الاجتماعية قدمت مجموعة من المناورات التكتيكية للحركات الاجتماعية حتى تسير فى تحقيق أهدافها [٧٧]. حيث استطاعت الثورة المصرية من خلال الفيس بوك عقد هذه المناورات فى كل مراحل الثورة، وتصاعد مطالبها بإطراد بشكل تتضح معه مرونة التكتيك الحركى فى المجتمع الإفتراضى وانعكاسه على المجتمع الواقعى .

ان المجال الإفتراضى الذى تشكلت على ساحته الثورة ليس مجالا مغلقا ولكنه مجال مفتوح، حيث يتأثر بتجارب الآخرين، فنجاح التجربة التونسية كان عاملا مشجعا للسير على هداها . مع الأخذ فى الإعتبار أن الثورة المصرية انطلقت استنادا إلى مرجعية المجتمع المصرى، والقوة الشعبية، حيث أن واقع التظاهرات يعتمد بالدرجة الأولى على القناعة بالأهداف والقدرة على التنظيم والحشد . وإذا كانت كلاسيكيات علم الاجتماع تنظر إلى الحشد من منظورات متعددة، فإن الحشد الفاعل فى تعبئة الجماهير نحوالثورة يسمى الحشد الثورى، الذى يضم الأفراد الذين لديهم مطالب يتجمعون للمطالبة بها على خلفية السياقات الواقعية . والملاحظ أن عملية التعبئة الإفتراضية للثورة مرت بعدة مراحل، *أولها*، مرحلة الإنضمام للمجموعات الشبكية، *وثانيها*، مرحلة بلورة الأهداف (من خلال الحوارات المتواصلة حول قضايا الإصلاح المرتبطة بالثورة، مع الأخذ فى الإعتبار أن أهداف الثورة المصرية كانت ذات سمة تصاعدية) *وثالثها*، مرحلة المشاركة (أى التشارك فى الفعل الثورى) . وفيما يلى نعرض لمراحل تشكل الفعل الثورى فى المجال الإفتراضى، استنادا إلى الحالة المصرية فى أحداث ٢٥ يناير :

أ – الدعوة إلى الإحتجاج :

يمكن تحديد اتجاهين لتحريك الإحتجاجات، *الأول* : تنطلق فيه الدعوة إلى الإحتجاج من الواقع ثم تتحول إلى سياق المجتمع الإفتراضى . *والثانى* : تبدأ فيه الإحتجاجات للمطالبة بالحقوق المنقوصة من السياق الإفتراضى ثم تنتقل إلى السياق الواقعى . وقد تبنت الثورة المصرية الأخيرة الإتجاه الثانى، من خلال مجموعة النشطاء السياسيين الذين وجدوا ملاذا فى المجتمع الإفتراضى للتحرك نحوالمطالبة بالأهداف، وذلك نظرا للمرونة الإتصالية والحرية والتحرر من القيود السياسية وضغوط المجتمع الواقعى .

إن الفرضية الأساسية للمجال العام الإفتراضى كما طرحها (سيمون جوس Simon Joss) تتمثل فى فكرة المجموع، بمعنى أنه لا يتم النظر إليه باعتباره كيان يتشكل من أفراد متفاعلين، بل يتشكل من مجموعات، تتبادل هذه المجموعات التفاعلات والنقاشات فيما بينها، ويتلائم ذلك مع الفرضيات النظرية والواقعية لمواقع الإتصال التفاعلى التى تعد آلية أساسية يتشكل على خلفياتها المجال العام الإفتراضى [٧٨].

وقد كشفت التجربة المصرية أن مطالب الإحتجاجات تحركت منذ السنوات الست الماضية فى إتجاه الحركات الفئوية التى تسعى إلى تحقيق بعض المطالب المشروعة، إلا أنه مع تزايد هذه الإحتجاجات على النحوالمتكرر الذى شهدتها مصر فى الآونة الأخيرة، ذابت هذه المطالب الفئوية لتسعى إلى مطالب عامة، تخص القضاء على الفساد وتحقيق العدالة الإجتماعية . والواقع أن الطريقة التى تجمع بها المصريون عبر موقع شبكة الفيس بوك للمطالبة بالعدالة تندرج ضمن ما يسميه (كاستيلز Castells) "حركة شبكية اجتماعية" تنتمى إلى عصر المعلومات [٧٩].

ب – التعبئة الإفتراضية :

ساهم الإنترنت فى تحقيق القدرة على تعبئة الجماهير من خلال الإرتباطات المتشكلة بين الأفراد فى إطاره ومن خلال رسائل البريد الإلكترونى . ويتأكد ذلك مع ما طرحه (هابرماس Habermas) فى أن هناك ارتباطا كبيرا بين القوة والتقنية، وقد أطلق على ذلك اسم " التفاعلية التحادثية " التى تساعد على تدفق الإتصال (٨٠) . حيث أن مساحات الحرية الموجودة عبر الإنترنت سمحت بتشكل مجال عام، استغله الثوار فى تفاعلية الحركات الاجتماعية من السياق الإفتراضى إلى الواقعى فى الثورة المصرية . وذلك فضلا عن ما أتاحه من تخطى حواجز وقيود الزمان والمكان، فعلى أعتاب هذا المجال تتفكك كل القيود .. فالمتفاعلون فى إطاره يستطيعون التفاعل فى أى وقت وأى مكان، بالإضافة إلى ما يتصف به من المرونة وتجانس الإهتمامات، أى أن تفاعلات وساحات المجال العام الإفتراضى هى ساحات إرادية لا تخضع لأى عنصر من عناصر وقيود الجبرية بل تقوم على فرضيات الإهتمامات المشتركة، بما يتيح الفرصة أمام تفتت التباينات والخلفيات على ساحته إلى حد كبير .

وتتم التعبئة للفعل الثورى من خلال مراحل، *أولها*، مرحلة الإقتناع بالإهداف، حيث يعرض النشطاء أهداف الحركة على المجموعات المختلفة المنتشرة عبر سياقات المجتمع الإفتراضى، وتتباين ردود الأفعال حول مجموعة الأهداف، ويدور ما يشبه الحوار المجتمعى الذى يقود فى النهاية إلى بلورة الأهداف وخطوات التحرك . و*ثانيها*، مرحلة المشاركة، التى تتم عبر البناء الشبكى، والذى يتمثل فى مجموعة من الحزم الاجتماعية التى تتمثل فى الأفراد أوالجماعات أوكيانات مثل الشركات والمؤسسات . ومن خلال هذه الروابط الشبكية بين الأفراد والجماعات يمكن الإتجاه نحوتعبئة الجماهير للمشاركة فى الإحتجاج (٨١).

ج – التحول من الإفتراضى إلى الواقعى :

أعاد الإنترنت ووسائطه المختلفة العديد من التصورات النظرية والواقعية لمفهوم الحشد على نحوجديد من خلال سياقات المجتمع الإفتراضى . إذ أن التنظير الجديد للحشد ينطلق من عوامل تشكله والمتمثلة فى ثلاثة عناصر هى : *الفهم*: أى فهم دواعى تشكل الحشد والوعى بالقضايا المطروحه فى إطاره، و*العاطفة*: حيث العاطفة الجماعية التى تكسب الحشد التأييد، و*آلية الاتصال*: وتعد النقطة الفارقة بين الحشود الواقعية والإفتراضية، إذ أن الأخيرة تنطلق من آلية اتصال عبر شبكة الإنترنت .

وتتمثل المعضلة النظرية فى هذا السياق فى كيفية تحول الجماهير والحشود الإفتراضية إلى الواقع . ويمكن تفسير ذلك من خلال بنية الحشود ذاتها، إذ تتكون من سلسلة من الحزم بين المجموعات المشكلة فى واقع الشبكات الإجتماعية . إذ إن تعدد المجموعات وتوحدها فى كل ثقافى مشترك، وتزايد القناعات بالأهداف المحركة للحشد كما هوالحال فى الثورة المصرية يزج بهذه الحشود نحوالنزول للواقع . إذ اتفقت المجموعات المختلفة المشارب والإتجاهات عبر سياقات مواقع التواصل التفاعلى الجديدة وكافة الشبكات الاجتماعية على الإنطلاق من الواقع الإفتراضى، وذلك بناء على مجموعة من المتغيرات، *أولها*، الثقة، حيث لعبت الثقة دورها فى تحرك الإحتجاج من الإفتراضى للواقعى، فإذا كانت المطالب والإرتباطات العاطفية هى التى تحرك الحشود الواقعية، فإن الثقة بين أفراد المجموعات لها دور كبير فى المجتمع الإفتراضى فى تحرك الحشود إلى الواقع . *وثانيها*، ما يمكن تسميته بالفوضى الخلاقة، إذ إن أنطلاق الحشود فى التنظير التقليدى يعتمد على خطط للتحرك منظمة، ولكن فكرة التنظيم وإن كانت متوافرة فى المجتمع الإفتراضى إلا أنها لم تكن بنفس الطريقة كما فى الحشود التقليدية، والمتأمل فى واقع التجربة المصرية، يدرك تحقيق الفكرة

الما بعد حداثية، والمتمثلة فى أن النظام يكمن داخل الفوضى . فلم يكن هناك نظام بطبيعته الصارمة فى التشكيلات الإفتراضية عبر الفيس بوك التى دعت للإحتجاج فى ٢٥ يناير، ولكنها انطلقت إلى الواقع . مع الأخذ فى الإعتبار أن النزول للمجال الواقعى أتاح الفرصة أمام انضمام العديد من الأفراد الذين لم يكن لهم حسابات على مواقع الشبكات الإجتماعية، أى أنه بمجرد الإتجاه نحونقل الإحتجاج إلى الواقع ساعد ذلك فى توافد الجموع كما ظهر فى التظاهرات المليونية على الصعيد المصرى (٨٢) . حيث أن الشارع هوالمكان الفيزيقى الذى يمكن أن ينتج فيه الإحتجاج ويتم التعبير عنه . فشوارع الغضب تمتلك خصائصها الإجتماعية الخاصة، فهى خليط من الملامح المكانية الاجتماعية العديدة، كما أنها تشكل فضاءات يمكن أن تتجمع فيها الحشود المتحركة بسرعة ويسر قبل أن تجبر على التفريق(٨٣).

سابعا: الدراسة التحليلية : (دراسة اجتماعية تحليلية لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ المصرية برؤية عينة من الصحفيين)

قامت الدراسة فى شقها التطبيقى لتحليل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١ المصرية من خلال اجراء مقابلات متعمقة مع عينة من الصحفيين المصريين العاملين بالصحف، القومية والحزبية والمستقلة، وذوى التوجهات السياسية والايديولوجية المتعددة، وتم ذلك من خلال دليل المقابلة، والذى يشمل عدة محاور، تغطى أهداف الدراسة وتساؤلاتها، وذلك لتقديم تحليلات متعمقة، ورؤى منهجية تساعدنا على فهم وتحليل المناخ الثورى المتفرد الذى حدث فى مصر المعاصرة، ومحاولة تحليل الحدث، للكشف عن مكوناته الحقيقية، مع الأخذ فى الإعتبار النسق المجتمعى، والظروف البنائية المشكلة لإنطلاق الفعل الثورى، والعوامل الموجهة لقيام الحركة الثورية . أى الكشف عن الظروف والموارد التى ساعدت على قيام الإحتجاجات المهيأة للثورة، وآليات عمل وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة كمورد للدعم الثورى .

وقد أشارت عينة الداسة من الصحفيين إلى إيجابية اجراء هذه الدراسة بعد مرور عدة سنوات على قيام الثورة، حيث ساهم البعد الزمنى نسبيا على قيامها وتلاحق الأحداث فى إعادة نظرهم إلى دور هذه الوسائط الاتصالية التفاعلية الجديدة، ووضع الأمور فى نصابها، والتفكير الجدى فى الأسباب الحقيقية للثورة ونجاحها فى إسقاط النظام .

هدف الدراسة الرابع : التعرف على أهم القوى المحركة لديناميات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وأهم خصائصها .

القوى المحركة لديناميات الثورة، وأهم خصائصها :

إذا أردنا تحديد القوى المحركة لديناميات الثورة، فثمة عوامل كثيرة متقاطعة ومتداخلة، ما بين مظالم سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى ثورة تكنولوجية ولوجيستية، عبأت ونظمت وسهلت انتشار الحالة الثورية، وهيمنة المزاج الثورى على الشعوب العربية وانتقاله من دولة لأخرى .

فالمجتمع كوحدة سوسيولوجية تحليلية، كان بمثابة الحاضنة الرئيسية للثورات العربية بشكل عام، وللثورة المصرية بشكل خاص، والداعم لإستمرارها والموجه لمسيرتها . ومفهوم المجتمع هنا، ليس فقط ، تلك البنية التقليدية التى تجمع بين أفراد وجماعات وطبقات وفئات لا يربط بينها سوى الإنتماء المكانى لبقعة جغرافية بعينها، وإنما المقصود، هومفهوم الجماعة Community المتسقة فكريا وعقليا ومنهجيا، وتستهدف تحقيق مصالح وأهداف

مشتركة . وكلما زادت مساحات الإلتقاء والتناغم والإنسجام بينها، مقابل انحسار وتآكل مساحات التعارض والصراع بينها - ولوبشكل مؤقت - تصبح قوة فاعلة تتحرك بثقة لا يستهان بها فى التأثير والفعل الثورى الذى يصعب إيقافه .

وهذه الكتلة الجماعية لاتعمل فى فراغ، حيث الإنتقال إلى المستوى الكلى للتحليل، والمتعلق بالدولة كوحدة سياسية، حولتها الأنظمة السلطوية إلى أداة قمع وبطش، وهدف تسعى الكتلة الجماعية لإسترداده وتحريره من قبضة الأوتوقراطية . ويصبح الصدام بين الطرفين واقعا لامحالة .. الطرف الأول، وتمثله دوائر الكتلة الجماعية المتسقة والمنصهرة والمتشابكة بشكل تلقائى قد لاتتوقعه الجماعات المنشئة لهذه الكتلة ذاتها . والطرف الثانى، الفعل التعسفى للدولة وانعدام المسئوليةالمجتمعية والإنسانية والأخلاقية للنخبة الحاكمة، وضعف وانعدام مناعة النظام السياسى، وتصبح المحصلة النهائية فى هذه المواجهة بمثابة مقدمة للفعل الثورى .

وإذا حاولنا تطبيق هذا النموذج التحليلى من خلال دراسة حالة ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ المصرية، ورؤى وتحليلات عينة الدراسة من الصحفيين، والتعرف على أهم خصائص القوى المحركة للثورة، يتضح مايلى :

•أجمعت أراء عينة الدراسة من الصحفيين –على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم – على أن تناقضات الواقع المصرى وأزماته قد أدت إلى الإحتقان السياسى والاجتماعى ومن ثم الغضب الشعبى وانطلاقة الفعل الثورى، حيث كان الإنفصال بين وجدان وعقل المواطن المصرى وطبيعة الأنساق المجتمعية والسياسية التسلطية والتى يعيش بينها، ومن ثم تعددت صور هذا الإنفصال من قهر سياسى ممثلا فى فقدان الحرية، سواء حرية المواطن فى المشاركة فى صنع القرار السياسى، أوحريته فى خلق الرؤى الثقافية المنتجة له ولوطنه، إلى قهر اجتماعى واقتصادى ممثلين فى عجز المواطن عن مواجهة ظروف الحياة الاقتصادية، وانفصال الأهداف التى يرسمها النظام الرسمى للمجتمع عن وسائل تحقيقها، مما خلق حياة اجتماعية ممثلة فى "اللامعيارية الاجتماعية" أوحالة "الأنومى" - كما أطلق عليها دوركيم - . فضلا عن انتشار التغريب السياسى والاجتماعى وغياب الأهداف القومية، ومن ثم كان ظهور حلم الحرية من كل مظاهر الفساد هوالمحرك لمشاعر النضال الثورى، مما أدى إلى تنامى الوعى الجمعى بتناقضات الواقع المصرى، وظهر ذلك جليا فى شعارات الثورة " عيش .. حرية .. كرامة .. عدالة اجتماعية " .

•وفقا للأطر النظرية التقليدية حول الحركات الثورية، فإن البحث عن قيادة للثورة يعد أمرا محوريا لإشعال الثورة، فنجد جميع الثورات المصرية لها قيادة معلنة أومستترة (الثورة العرابية ١٨٨٢ بقيادة أحمد عرابى، ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول، ثورة ٢٣ يوليوبقيادة تنظيم الضباط الأحرار) وقد أثبتت ثورة ٢٥ يناير عدم توافر تلك القيادة، وقد انقسمت عينة الدراسة من الصحفيين إلى فريقين، فريق يرى أن غياب القيادة الثورية أدى إلى إخفاق السلطة فى اكتشاف القائد للتعامل معه وتسهيل تصفيته أواستقطابه، وانشغلت بالبحث عن القائد مما أفقدها اتزانها وارتباك تصرفاتها . وهذا يعنى أنه لاتوجد بؤرة سياسية معينة للثورة، سواء تخطيطا كان أوتنفيذا، أى أن الثورة لم تكن من صنع حركة سياسية بعينها أوتيار ايديولوجى محدد، وإنما كانت نتيجة لفعل جماعى فى لحظة زمنية معينة أشعلت اللحظة الثورية فانتفض المجتمع خلفها، والتف حولها وذلك من أجل تحقيق هدف محدد . حيث بدأت مقدمات الثورة من خلال الدعوة فى السادس من أبريل ٢٠٠٨ إلى إضراب عام فى مصر، وما ترتب عليه ذلك من أحداث صاخبة وعنيفة فى مدينة المحلة الكبرى، فى حين يرى الفريق الآخر من الصحفيين عينة الدراسة، أن غياب القيادة الثورية، وغياب

التنظيم الذى يمثلها ويتحدث بإسمها ربما كان ميزة فى البداية، إلا أنه تحول بعد ذلك إلى ثغرة كبيرة فى مسيرتها، وحتى بعد نجاحها فى الإطاحة برأس النظام، حيث فتح ذلك الباب واسعا فيما بعد أمام قوى وقفت ضد الثورة بكل قوة كى تدعى نسبها فيما بعد، كما أكد الصحفيون، على أن زيادة السيولة الفكرية والتنظيمية التى اتصفت بها الشريحة الشبابية منذ تفجير الثورة وتوحدها فى معركة إسقاط النظام، تشظت على عشرات الإئتلافات الثورية، فإنقسمت على نفسها سريعا، ولم ترتب أولوياتها، ولم يفرق بعضها بين أدوات معركة الهدم وأدوات معركة البناء، مما منح فرصة مثالية لوجوه النخبة السياسية القديمة لإعادة تدوير نفسها وعودتها إلى صدارة المشهد وإعادة إنتاج أخطائها التى ساهمت فى وصول درجة الفساد إلى ما وصلت إليه قبل اندلاع الثورة .

•أشارت معظم عينة الدراسة من الصحفيين، أن من القوى الفاعلة فى تأثيرها، والجديدة فى أداتها، طبيعة التنظيم الثورى ذاتها، حيث كان التنظيم افتراضيا لا تقليديا، فقد تميزت ثورة الغضب الشعبى بتنظيم معاصر، ابتعد عن الصورة التقليدية التى كانت تستخدم فى الحركات الثورية السابقة، فقد جاء التنظيم بوسائل تكنولوجية معاصرة، تبادل فيها الثوار الرسائل من خلال الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الحر مأفقد السلطة القدرة على مجاراة الثوار ورصد الحجم الحقيقى لقوة الجماعات الثائرة على المواقع الإفتراضية . وهذا يعنى أن هذه القوى الجديدة هى قوى متجاوزة للأطر الأيديولوجية والسياسية وبنيتها التنظيمية التقليدية . حيث كانت وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة لا تمثل مجرد أدوات تواصل كما يراها البعض فحسب، بل أدوات ووسائط تحمل قيما تسللت لتك الشريحة الجيلية . فالممارسات فى العالم الشبكى تكسر السلطة، وترفض التابوهات، وتدفع مستخدميها إلى بلوغ الخيال السياسى . فقد نشأ جيل الثورة تنشئة سياسية شبكية لا هرمية، إذ خرج هذا الجيل من رحم تنشئة شبكية لم تدركها الأبنية السياسية السلطوية فى كل المنطقة العربية، سواء الأحزاب أومؤسسات التعليم وغيرها . وذلك لأن النخبة القديمة لم تدرك أن الثقافة الشبكية للجيل الجديد تأسست على كسر أى تابو، وعدم الإنقياد وراء سقف طموحات معين، حتى أننا نجد أن حركة المتظاهرين فى مصر كانت تذهب بالمطالب إلى أقصى الطريق كلما تنازل النظام، لأن خيالهم ليس محدودا بالحسابات السلطوية للجيل القديم .

• كشفت الثورة المصرية عن ظاهرة "المواطن الصحفى" التى تفوقت فى الأخبار على الشبكات الإعلامية التقليدية، لاسيما بما تملكه من سرعة وقدرة التأثير وعدم الإنسياق لحسابات المصالح الإعلامية . وفى هذا الصدد برزت مجموع أوشبكة "رصد" على الفيس بوك، باعتبارها مصدرا أساسيا للأخبار والمعلومات عن مايحدث فى ميدان التحرير وماوصلت إليه أحداث الثورة، خاصة عندما قررت السلطات عزل مصر عن العالم فى ليلة الثامن والعشرين من يناير ٢٠١١، أوما يعرف بجمعة الغضب، ولمدة ثلاث أيام . وبالتعاون بين مجموعات الشباب والتى تتراوح أعمارهم بين ١٨-٢٥ سنة، داخل مصر وخارجها، تمكن العالم من متابعة الأحداث المثيرة فى جميع محافظات مصر . إلا أن نفر غير قليل من الصحفيين يرون أن ظاهرة المواطن الصحفى، إنما هى ظاهرة مرحلية وانتهت، كما أنها ظاهرة تفتقد للمعايير الصحفية والصدق والحقيقة .

• تعد ظاهرة تنامى الحركات الإحتجاجية فى السنوات السابقة على الثورة عاملا هاما ومنذرا بإمكانية حدوث أمر جلل، حيث رأت أغلبية عينة الدراسة من الصحفيين، أنه نظرا لكون هذه الإحتجاجات محدودة العدد فى كثير من الأحيان، وليست ذات مطالب وأهداف سياسية واضحة، فقد تم إهمالها وعدم إعطائها الإهتمام المناسب باعتبار أنها لايمكن أن

تؤدى لتغيير النظام السلطوى، متناسين أن الثورة تنشأ فى جوهرها عبر أزمة اجتماعية، يصل فيها المجتمع إلى طريق مسدود، حيث الفشل فى سد المطالب الاجتماعية والتفاعل الخلاق مع البيئة الخارجية . وتعد حركة "كفاية"، وفق وجهة نظر الصحفيين والمحللين السياسيين والاجتماعيين، "أم الحركات" حيث يعود إليها فضل تحريك المياه الراكدة فى الشارع السياسى، وتحدى الخوف من الحكم العسكرى، واستبداد المؤسسة الأمنية . وقد ساهمت هذه الحركة فى ظهور وتأسيس حركات فئوية تحمل معانى منها "شباب من أجل التغيير " و"عمال من أجل التغيير" و"طلاب من أجل التغيير" .

• التأكيد على اللحمة الاجتماعية خصيصة لا يجب إغفالها . حيث جاء تنظيم المسيرات الجماهيرية فى ميدان التحرير معبرا عن التحام الشعب مع الثورة، والقدرة على التعايش مع جميع الفئات والجماعات الاجتماعية، على إختلاف مشاربها الفكرية والسياسية، حيث عبر عنها معظم الصحفيين، باعتبار أن هذا مرجعه ارتباط البعدين السياسى والاجتماعى للثورة، فقد جمعت ثورة ٢٥ يناير بين البعد السياسى، والمتمثل فى "الحرية .. والعدالة "، والبعد الاجتماعى، والذى عبرت عنه ب"العيش .. والكرامة الإنسانية"، ولذا فقد أسهم السياسى والاجتماعى فى التلاحم الجماهيرى، وتلاشت الفروق الاجتماعية والطائفية والدينية، وتحول ميدان التحرير إلى مجتمع بديل، مجتمع ينشد الحرية، وقبول الآخر، وتوفير الحماية المدنية من خلال لجان شعبية، تم تنظيمها بعناية . وخير بيان على تلك اللحمة الاجتماعية والتضامن الجماهيرى هواتفاق أراء غالبية عينة الدراسة من الصحفيين حول محاور ونقاط كثيرة خاصة بمسألة الثورة والتحول الثورى، على اختلاف توجهاتهم السياسية والفكرية مابين ليبرالى وعلمانى واسلامى، فأمام المواقف الوطنية غالبا ما تذوب الفوارق الايديولوجية، وتتدعم الأواصر الوطنية فى بوتقة واحدة ذات هدف واحد مشترك . وعبر أحد الصحفيين قائلا، أن هذا التضامن الجماهيرى والشعبى، وإن كان واضحا فى بدايات الثورة، لكنه اختفى مع ظهور المطالب الفئوية .

• أما عن موقف الجيش، والحركة الإسلامية، فقد أوضحت غالبية عينة الدراسة من الصحفيين، وبشكل جدى أن تلك القوتين قد شكلا القوى ذات الأهمية البالغة فى واقع الثورة ومستقبلها، فعلى الرغم من دخول فاعلين جدد مع الشباب إلى ميدان التحرير، مثل النقابيين وأساتذة الجامعة والصحفيين، بل وبعض رجال الإعمال، فقد بقى الجيش والإخوان المسلمون عنصر حسم فى اللحظات الأخيرة إلى حد كبير، خاصة وأن الزخم الشعبى كان متزايدا ومنذرا بخطر التصادم، لوانطلق بروح التمرد فقط عند هذه الجماهير . وكان الموقف الرافض للعنف مع الجماهير من قبل الجيش منذ بداية الحدث ثم التصرف بموقف ذاتى للجيش فى مصر وإن جاء خارج إطار الثورية، مما قلل من درجة الإحباط فى اللحظات الحاسمة، كما قلل من نمط العنف المتبادل فى الثورات . فالجيش المصرى مؤسسة قوية وخطيرة النفوذ، مارست الحياد فى أكثر من موقف . والإخوان المسلمون قوة لا يستهان بها، كانت تنافس الحزب الحاكم على الحكم وتساومه معظم الوقت ولا يردها إلا الإستبداد الأمنى، ولذا ظلوا لبضعة أيام فى زاوية الحياد بدورهم حتى أدركوا ضرورة الإنضمام إلى جماهيرهم، وخاصة الشبابية، التى سبقتهم إلى الميادين، مختلفين عن قياداتهم، وقد أجبر ذلك القادة على المراجعة والنزول، بل واندفعوا عقب ذلك فى محاولة منهم لإحتواء الثورة ومنجزاتها . إلا أن قلة من الصحفيين عينة الدراسة، يرون أن المجلس العسكرى لم يكن محايدا، ولم يؤد الدور التاريخى بالشكل المطلوب .

وبناء على تحليل وجهات نظر عينة الدراسة من الصحفيين، وجد، أنه فى ضوء طبيعة القوى المحركة والنخبة الثورية الجديدة التى قادت اللحظة الثورية، وضعف المؤسسات

والقوى السياسية التقليدية، وتزايد أهمية دور المواطن فى تشكيل المستقبل بما يضمن تحولا ديموقراطيا حقيقيا ومستقرا، وفى ضوء أيضا حالة السيولة المرتبطة بالمراحل الإنتقالية، بما فيها من محاولات لتشكل استقطابات جديدة فى المجتمع، وما يكشف عنه النقاب كل يوم من تغلغل فساد الأنظمة المخلوعة بشكل هيكلى، وتداخل الفساد الداخلى والخارجى، نتيجة تشابك العلاقات بين المركز والأطراف على المستوى الدولى، يبدومن المفيد تبنى شكل جديد للتحول الثورى، لا يتمتع بالسرعة نفسها التى تحولت بها مجتمعات شهدت ثورات تقليدية . ويمكن الرهان على أن هذا التحول الأبطأ سيكون أكثر استدامة، نتيجة ارتباطه بقاعدة أوسع من مجرد النخبة التى قادت الحركة الثورية، التى كثيرا ما ارتبط تاريخها فى الثورات الكلاسيكية بقدر أكبر من العنف والإجراءات الإستثنائية، وقدرة جماعة داخل هذه النخبة على الإنفراد بالأمر والإطاحة بباقى عناصرها .

هدف الدراسة الخامس : محاولة تقديم رؤية تحليلية اجتماعية لمراحل الثورة المصرية للكشف عن أزمة الوسائط التقليدية وتوضيح دور الوسائط الجديدة فى التعبئة للفعل والحدث الثورى .

التحليل الاجتماعى لمراحل الثورة :

إن البحث فى تاريخية الظاهرة الاجتماعية يمكنه التوصل إلى قانون، يمثل حكما كليا عموميا لا يقل فى ذلك عن أحكام الظاهرة الطبيعية، والتأكيد على أن حركة حوادث التاريخ لا تتم جزافا هكذا، وإنما ثمة عوامل متشابكة ومتراكمة، كل منها يؤدى إلى الآخر إلى أن يكتمل تبلور الظاهرة . حتى لنجد بن خلدون، مؤسس علم الاجتماع، يجعل القانون العلمى ينسحب على الظواهر الاجتماعية، فقد اهتدى من دراسته إلى أن الظواهر الاجتماعية لا تشذ عن بقية ظواهر الكون . حيث أن الثورة ظاهرة انسانية اجتماعية، عرفتها المجتمعات البشرية، نتج عنها تغيير فى البناء السياسى والاجتماعى، برزت على إثرها قوى اجتماعية، وتواترت أخرى، وقد تتكرر إذا ما دعت الظروف لذلك .. ويقتضى القانون العلمى للثورات أن هناك مجموعة من التراكمات الكمية المطلوب توافرها لبلورة الثورة هى : ١- وجود تناقض اجتماعى- سياسى بين السلطة القائمة وبين المحكومين . ٢- عجز السلطة الحاكمة عن حل التناقض القائم وسعيها للإحتفاظ بزمام الأمور فى يدها . ٣- وجود جماعة سياسية سرية أوعلنية، حزب أوجبهة، تسعى لحل التناقض القائم لصالحها .٤- تطلع جموع الناس إلى التغيير، وانتظاره يأسا من الوضع القائم . ٥- اختيار اللحظة المناسبة، أوالظرف المواتى للإستيلاء على السلطة (٨٤).

وإذا توافرت هذه الشروط فى حالة مجتمع الثورة تقع الثورة حتما، أما إذا لم يتوافر شرط أواثنان، فإن هذا لا يعنى خطأ القانون، وإنما يعنى أن تراكمات الحالة لم تكتمل بعد . أما إذا فشل الثوار فى الإستيلاء على السلطة وتم اعتقالهم، فلا يجوز وصف ماقاموا به "بالثورة" اعتمادا على أن الثورة تقاس بالأهداف التى كانت ترمى إليها . ومن الملاحظ بشكل عام، أن الثورات على مدار التاريخ، تختلف مخرجاتها عن أصولها، وتؤل فى العادة إلى نتائج تتحكم بها الكثير من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية . ولعل التجارب التاريخية فى هذا الشأن توضح أن العديد من الثورات الاجتماعية والسياسية التى حدثت لم تتمكن من التخلص من الأسباب التى قامت من أجلها كغياب المساواة أوالقضاء على الإستغلال الطبقى أوالقمع السياسى، فالثورات الفرنسية ١٧٨٩، أوالمكسيكية ١٩١٠، أوالروسية ١٩١٧، أوالكوبية ١٩٥٨، تمكنت من تقليل حجم عدم المساواة فى مجتمعاتهم على المدى القصير، إلا أنه على المدى الطويل لم تتمكن أنظمة مابعد الثورة من الحفاظ على مكتسباتها (٨٥)، ولعل السبب الرئيسى فى ذلك هوصعوبة التوصل لبناء نظرى

ثابت قائم على عوامل محددة من الممكن تطبيقها على حالات مختلفة، هذا بالطبع نظرا لخصوصية تطور مسار الثورة من مكان لآخر، ومن سياق لآخر . ومن ثم بات من الضرورى التعامل مع كل حالة وفقا لمجموعة العوامل التى تتحكم فى تطوراتها .

بداية يمكن تحديد نمط ثورة ٢٥ يناير المصرية، على أنها ثورة سياسية أكثر منها ثورة اجتماعية، حيث قامت لتعديل أوضاع سياسية تتعلق بنظام الحكم أكثر من قيامها لأسباب اجتماعية تتعلق بإحداث تغيير فى الهيكل الطبقى أوالتركيبة الريفية – الحضرية للمجتمع . إلا أن هذا لا يعنى أن البعد الطبقى كان غائبا . ففى حالة مصر، فقد شهدت نشاطا للحركة العمالية قبل عام ٢٠١١، وفى المراحل التى تلت قيام الثورة، حيث كان للإضرابات العمالية التى ضربت أركان البلاد دور كبير فى استمرار الضغط الشعبوى على الدولة لإسقاط مبارك . وعلى الرغم من وجود فاعلين تحركوا على أرضية طبقية إلا أن التعبئة للمشاركة الشعبية من خلال التظاهر لم تستند على آليات طبقية بقدر استنادها على مطالب سياسية بزيادة مساحة الحريات السياسية والحد من القمع الأمنى (٨٦).

وقد بدأ علماء الاجتماع فى الفترة الأخيرة تقسيم مراحل الثورة إلى ثلاث مراحل هى .. الأولى، مرحلة مقدمات الثورة، والثانية، مرحلة الخطوات العملية "سياقات الثورة"، والثالثة، عواقب ونتائج الثورة .. وفيما يلى سنعرض لهذه المراحل لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ المصرية، ومن خلالها يمكن الكشف عن أزمة الوسائط التقليدية، ودور وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة فى التعبئة الإفتراضية وصولا للفعل الثورى :

المرحلة الأولى : مرحلة التمهيد للثورة "مقدمات الثورة" :

إن المتابع للمناخ العام الذى أحاط بالرأى العام المصرى قبل ثورة ٢٥ يناير يلاحظ أن ثمة مقدمات وإرهاصات لها، وقد اتفقت عينة الدراسة من الصحفيين بالاجماع على هذه المقدمات، التى بدأت بالإستبداد السياسى لنظام مبارك، ورفضه اجراء أى إصلاحات من شأنها أن تسهم فى تداول حقيقى للسلطة، وهوماترتب عليه تضييق الخناق، وسد منافذ التعبير عن الرأى واحتكار السلطة والثروة (تزاوج السلطة مع المال)، وحرمان الملايين من صور المشاركة، فضلا عن تزوير انتخابات المجالس المحلية، ومجلسى الشعب والشورى، وتجاهل أحكام القضاء، بالاضافة إلى انتشار الفساد، وإهدار المال العام، ونهب ثروات البلاد، وزيادة أعداد المسجونين بدون محاكمة، وتدهور أحوال الفقراء، وزيادة التفاوت الاجتماعى بين الفقراء والأغنياء، وارتفاع معدلات البطالة بين الشباب .

كما تكشف لنا عينة الصحفيين، أن وسائل الإعلام لم تكن بمنأى عن كل ما يطرحه المجال العام من قضايا وأحداث تتعلق بسياسة النظام الحاكم، حيث لعبت أدوارا شديدة الأهمية فى الكشف عن كافة جوانب القصور والفساد والإستبداد التى شابت أداء النظام الحاكم، والتشكيك فى شرعيته، وكشف الأقنعة عن فساد أعضاءه، وإبراز فشله فى تلبية احتياجات المواطنين، والتأكيد على تآكل شعبيته فى الشارع، والدعوة إلى الثورة، ومساندة الحركات الاجتماعية والسياسية المطالبة برحيله .

وثمة مجموعة من العوامل – اتفقت عليها عينة الدراسة من الصحفيين - شكلت المناخ العام خلال فترة ما قبل الثورة، قد ساهمت بشكل رئيسى فى نموالسخط المجتمعى، ومن ثم اندلاع الثورة، وهى :

١- تردى أداء النظام السياسى وتآكل شرعيته :

إن متتبع المشهد السياسى والوضع الاجتماعى والاقتصادى فى مصر يلاحظ الهوة بين الخطاب الحداثى والممارسة السياسية على مستوى الواقع، والفجوة بين الأطر والهياكل

الدستورية والمؤسسية الرسمية من ناحية، والواقع السياسى والاجتماعى من ناحية أخرى، مما أضعف ثقة المواطنين فى السياسة والسياسيين .

وقد أوضحت أكثر من نصف عينة الدراسة من الصحفيين عن طبيعة العلاقة بين المواطن المصرى ومدى الثقة فى النظام السياسى، حيث يرون أن مسألة فقد الثقة جاءت نتيجة تهميش المواطن وإقصائه من الحياة العامة مما جعله يراهن على وسائط الإتصال التقليدية، كالمؤسسات الحزبية ومنظمات المجتمع المدنى، للحد من سلطة النخبة الحاكمة ولتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال عملية التداول السلمى للسلطة . ولكن لم تحقق هذه الوسائط ما كان منتظرا منها . ففى السنوات الأخيرة من حكم نظام مبارك، كان الحزب الوطنى مهيمنا على كافة جوانب العملية السياسية، وكان يتوزع حوله مجموعة من الأحزاب الأخرى متهالكة ليس لها فاعلية سياسية، ولا فائدة منها سوى إضفاء الشكل التعددى على النظام السياسى المصرى . وفى ظل هذا الوضع تزايدت حدة الإحتقان السياسى، خاصة مع ممارسات النظام القمعية وعدم احتكامه للإرادة الشعبية للمصريين، وهوما تسبب فى إحداث حالة من الفراغ السياسى، حيث أدت الأوضاع السلطوية إلى محاصرة المنظمات الشعبية، وإحكام سيطرة أجهزة الأمن عليها، فحرم ملايين المصريين من المشاركة فى العمل العام . هذا بالإضافة إلى انضمام جمال مبارك إلى عضوية الحزب الوطنى الديموقراطى، وتشكيله للجنة السياسات داخل الحزب الحاكم، وتوليه أمانتها، وهوما فتح الباب واسعا فى الحديث عن التوريث السياسى .

هذا وبالإضافة إلى ما سبق، تؤكد أغلبية عينة الصحفيين على هشاشة التنظيمات الحزبية والمدنية - وعلى حد قول أحد الصحفيين - تحولت الأحزاب إلى أحزاب كرتونية تسيطر عليها الأجهزة الأمنية . كما كشف أحدهم عن ظهور التنظيمات اليمينية التى تزاوجت مع النظام بشكل خفى مثل الجماعات السلفية بالأسكندرية، وجماعات الإخوان المسلمين، التى استحوذت على بعض مقاعد البرلمان . والجدير بالذكر، أن الأحزاب السياسية تمثل أطرا لتنشئة وتدريب الكوادر السياسية، ليس من خلال عمليات التثقيف السياسى فحسب، بل من خلال ممارسة العمل السياسى على المستوى الوطنى والمحلى، الأمر الذى يمكن هذا الحزب أوذاك من أن يكون له كوادره القادرة على ممارسة المعارضة السياسية بشكل فعال ومسئول فى حال وجوده فى المعارضة، أوإدارة شئون الدولة بفاعلية وكفاءة فى حال تسلم السلطة أوالمشاركة فيها . ولكن لم تقم الأحزاب السياسية فى مصر بهذا الدور، فمنذ منتصف السبعينيات لم تكن هناك حياة حزبية حقيقية، ليس فقط بسبب احتكار الحزب الوطنى للحياة السياسية، وفرض قيود قانونية وسياسية وأمنية على أحزاب المعارضة من قبل السلطة، ولكن أيضا بسبب ضعف القواعد الاجتماعية للأحزاب بما فيها الحزب الوطنى، وعدم تبلور أطرها الفكرية والايديولوجية، وضعف هياكلها التنظيمية، وعدم التزامها بالديموقراطية الداخلية، وكثرة الإنشقاقات داخلها . وعلى خلفية ذلك، فقد انتشرت ظاهرة "التأبيد فى السلطة" على مستوى الحكم وأحزاب المعارضة، الأمر الذى أصاب النخبة بكل أمراض الشيخوخة السياسية، وبذلك غاب الصف الثانى، والصف الثالث فى النخب السياسية بمختلف انتماءاتها .

ولعل هذه الفكرة قد أشار إليها "محمد حلمى شعراوى"[٨٧] حيث يرى أن كثيرا من النظم العربية- الأفريقية، وقفت عند حدود نظريات "ثوابت"الشعوب، لتؤكد أوضاعها الأبدية حول زعيم "الضرورة التاريخية" و"الزعامة الكاريزمية" أو"الأبوية" و"الفرعونية" ولكن مع "الملل الجماهيرى" ظهرت الحركات الإحتجاجية، كحركة "كفاية" لتعلن Enough Is Enough .

٢- تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر :

أكدت عينة الدراسة من الصحفيين على أن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية يمثل أحد العوامل التى ساهمت بشكل مباشر فى زيادة السخط الاجتماعى لدى المصريين، واندلاع العديد من المظاهرات والإحتجاجات المناهضة لنظام مبارك والمطالبة بالإصلاح والتغيير، وقد تجلت مظاهر ذلك فى عدة مشاهد : انهيار الخدمات الصحية والعلاجية للمواطنين، وتدهور أحوال التعليم، وزيادة نسب الفقر والعشوائيات، وارتفاع معدلات البطالة بين الشباب، وانخفاض مستوى الدخول مع ارتفاع مستويات الأسعار بشكل مبالغ فيه أدى ذلك إلى أن أصبحت فئة كبيرة من المواطنين غير قادرة على تلبية احتياجاتها اليومية الأساسية، أى أصبح هناك فارقا اجتماعيا كبيرا بين الطبقة العليا والدنيا، مما أدى إلى اختفاء جزئى للطبقة الوسطى (خلل فى الهرم الاجتماعى)، الأمر الذى ساهم فى زعزعة شرعية نظام مبارك نتيجة عدة عوامل من بينها نموحالة من السخط المجتمعى لدى المواطنين أمام عجز النظام عن اشباع احتياجاتهم، فضلا عن تزايد مظاهر مؤشرات كراهية الدولة وعدم الرضا العام وضعف وانعدام الثقة بين المواطن والدولة نتيجة تزايد الوعود الحكومية التى كانت ترد فى بيانات الحكومة دون تحقق، وتهميش الطبقة الوسطى، وتفشى مظاهر الفساد السياسى والتى كان فى مقدمتها تزوير انتخابات مجلسى الشعب والشورى .

ولعل ذلك يتفق مع ما ذكره "السيد يس "[٨٨] من أن السياسة التنموية غير العادلة من أهم أسباب الإضطرابات الاجتماعية، لأنها تتسبب فى الفوارق الاجتماعية الضخمة، حيث انقسمت البلاد على مستوى التنمية إلى مناطق تستأثر بمعظم أوبكل الإستثمارات التنموية، سواء الأجنبية أوالحكومية، ومناطق داخلية معزولة، وكأنها تعيش خارج زمن التنمية . أى أنه من أبعاد الأزمة الاقتصادية التى تراكمت فى جنبات المجتمع المصرى، غياب رؤية استراتيجية للتنمية فى مجالات الزراعة والصناعة والتكنولوجيا، وتنمية اقتصاد إفتراضى يقوم على المضاربات فى البورصة، وفى مجال نهب أراضى الدولة من خلال تملكها لرجال الأعمال بأثمان بخسة، وبناء المنتجعات والفيلات عليها، فى حين تقع نسبة كبيرة من المصريين تحت خط الفقر .

٣- انتشار الفساد الإدارى والسياسى :

اجمعت عينة الدراسة من الصحفيين على أن انتشار الفساد الإدارى والسياسى من العوامل المؤثرة فى تهيئة المناخ للثورة، ومن مظاهر ذلك : إهدار المال العام، والإختلاس، وسلب حقوق المواطنين، وإضاعة ثروات البلاد من أراضى، وانتشار الرشوة، وفساد المحليات، التى اتسمت بالقبلية، وتزوير نتائج انتخابات المجالس النيابية والمحلية لصالح الحزب الحاكم، عبر إغلاق الصناديق قبل انتهاء عمليات التصويت، ودفع رشاوى للناخبين للتصويت لصالح الحزب الوطنى . أى تتعدد مظاهر الأزمة فى أشكال مختلفة منها أيضا، الإنفراد بإتخاذ القرار السياسى بواسطة الحزب الحاكم، وتزاوج الثروة بالسلطة، والهيمنة على إتخاذ القرارات التنموية الكبرى لصالح رجال الأعمال، إضافة إلى تعددية سياسية مقيدة،أى عدم السماح بقيام أحزاب إلا التى ترضى عنها الدولة.

كما أضاف بعض الصحفيين، أن التعثر فى أداء الأجهزة الحكومية ظهر على المشهد الإدارى والسياسى، بسبب تركيز جهود الإصلاح الإدارى على بناء الهياكل والأنظمة الرسمية، وهومازاد من اللوائح واللجان، فدارت عملية الإصلاح فى حلقة مفرغة ذات طابع بيروقراطى، حيث تحولت برامج الإصلاح إلى طقوس دعائية، ذات مضامين صورية،

بدون وجود رقابة فعلية وحوكمة إدارية . وعلى حد قول أحد الصحفيين، أن انتشار الفساد الإدارى هونتيجة طبيعية وسببية لوجود تردى فى النظام وعوار فى النظام الحزبى .

٤- الممارسات القمعية لجهاز الشرطة :

كانت أبرز الملامح المميزة للمناخ العام خلال فترة ما قبل الثورة، هوتفشى سلطة وبطش جهاز الشرطة فى ظل استمرار العمل بقانون الطوارىء، وتجلت الممارسات القمعية للجهاز الأمنى فى عدة ظواهر، من بينها القبض على بعض المواطنين، وتعذيبهم حتى الموت، فضلا عن مصادرة الحريات من خلال استخدام العصا الأمنية، وقمع أية مظاهرات أواعتصامات تندد بسياسات نظام مبارك، بالإضافة إلى ملاحقة ومطاردة بعض السياسيين والنشطاء والصحفيين المناهضين لسياسات النظام . وهذا ما أكد عليه الصحفيون بالإجماع .

كما أضافوا أيضا، أن سطوة جهاز الأمن قد زادت مع تزايد الإحتياجات وعلوصوت المعارضة، وأصبحت المعاملة القاسية والعنيفة التى يلقاها البعض داخل أقسام الشرطة وأماكن الإحتجاز سببا فى تسريب وقائعها إلى مواقع التواصل الإجتماعى من خلال تصوير بعضها بكاميرات التليفون المحمول، مما دفع بعض الشباب لتأسيس صفحة بعنوان "كلنا خالد سعيد" وهوالشاب الذى لقى مصرعه على أيدى رجال الشرطة فى محافظة الأسكندرية.

٥- قصور وسائط الإعلام التقليدية وبروز الوسائط الجديدة بشكل فاعل :

رأت معظم عينة الدراسة من الصحفيين، على أن الثقافة المصرية السائدة فى مجتمع ماقبل ثورة ٢٥ يناير لم تكن تثق كثيرا فى وسائط الإعلام التقليدية، بل تعتبرها أدواتا تخدم مصالح خاصة، لا مصالح جماهير المواطنين. حتى أن الإعلام المصرى بنوعيه الرسمى والمعارض لم ينجح فى فترة ما قبل الثورة فى تحويل هذا الرأى إلى "سلطة خامسة" تؤثر فى صنع القرار السياسى فى البلاد . ولاشك أن القصور الشديد فى وسائط الإعلام التقليدية هوما دفع الشباب نحووسائط تفاعلية جديدة. ومن ثم استفاد الشباب من الإنترنت لتعزيز ظاهرة "التدوين الإحتجاجى" وتأسيس حوارات ومناقشات بديلة لا تسيطر عليها النخب التقليدية، وإقامة شبكات إفتراضية على مواقع التواصل الاجتماعى، كالفيس بوك، تدعووتخطط للإحتجاج . وقد يكون خير دليل على ذلك بروز حركة "شباب ٦أبريل" التى نجحت فى تنظيم الإضراب العام فى ٦ أبريل ٢٠٠٨ .

لهذا أشار نفر غير قليل من عينة الدراسة، إلى تعاظم دور الإنترنت كوسيلة إعلامية بوسائطه المختلفة، من المنتديات والمدونات ومواقع شبكات التواصل الاجتماعى، وفى ظل هذا المناخ من التربص بحرية الرأى والتعبير، وملاحقة أصحاب الرأى . وفى ظل صعوبة فرض الرقابة من قبل الحكومة على ما يكتب بهذه المواقع، حيث قدمت المدونات مجالا منافسا وأحيانا بديلا يطرح ما لا تقدمه وسائل الإعلام السائدة من موضوعات وقضايا الشئون العامة، وأدارت نقاشا عاما، وسعت نحوتعبئة الرأى العام فى اتجاهات محددة كما حدث فى قضايا التعذيب حيث إنها عملت كسجل وثائقى لكافة وقائع التعذيب والعنف البدنى أوالإعتقالات أوالمطاردات التى تنال بعض الناشطين السياسيين، وإلى جانب المدونات برزت الشبكات الاجتماعية فى المجال العام كوسيلة إعلامية خاصة مع تزايد الإقبال عليها من قبل الشباب، وأصبحت هى الأخرى ساحة للنقاش حول مختلف القضايا، ثم تحولت إلى وسيلة تستخدمها الحركات والقوى المختلف لنشر أفكارها والدعوة إلى تظاهراتهم التى ينظمونها .

المرحلة الثانية : سياقات الثورة :

تعامل العالم مع الثورات العربية فى نهاية ٢٠١٠ ومطلع ٢٠١١ بنوع من المفاجأة وعدم التوقع، والتى قد تكون نظرة محقة إذا ما أغفل عامل الزمن، وصيرورة المجتمعات، والتراكم الثقافى . إلا أنه لا يمكن تصور حدوث ثورة فى أى مجتمع من المجتمعات دون أن يسبقها عوامل سياسية، اقتصادية أواجتماعية، أدت إلى تراكم نضالى شعبى . فالثورات لا تحدث فجأة، وكل ثورة تقوم فى سياقها، ونتيجة لأسباب تتباين فى تنوعها ودرجاتها، أى يبقى العمل الثورى مرتبطا بشروط يصعب تجاوزها ولا يحدث إلا عند اكتمال التفاعل بين العوامل الضاغطة والعوامل المحفزة لتفجير الثورة .

ولكن لم تكن المسألة، مسألة يقظة مفاجأة من بيات شتوى استغرق ما يربوالأربعين عاما، بل هى تحقق لشرط كان غائبا وأتى نتيجة تفاعل عدة متغيرات ديموغرافية واقتصادية وسياسية، فضلا عن تطورات تكنولوجية ساعدت الشعوب على النهوض من كبوتها ورفض للواقع الذى تعيشه، فالحراك الجماهيرى التونسى، الذى أطلق شرارة الإنتفاضات العربية، لم يأت كفعل إرادة بعد تحديد دقيق للغايات، بل كان ردة فعل نتيجة إقدام الشاب الجامعى "محمد بوعزيزى " على إضرام النار فى نفسه بعد تعرضه للضرب من قبل الأمن . هذا الحدث قد يبدوعرضيا، ولكنه كان بمثابة النقطة التى أفاضت بئر الرواسب المتراكمة، وتغذى من الإنفتاح الكبير فى وسائل الإتصال الذى جعل من الصورة والمعلومة سلاحا مؤثرا فى تشكيل المواقف، وصناعة الرأى العام .

أى أنه يمكن القول بأن الثورات العربية تسجل ثأر المجتمعات أكثر مما ترمز إلى معارضة قد تكون غائبة أومهمشة . واشتعلت هذه الثورات بسبب ارتفاع أسعار الغذاء، وزيادة الفقر، وارتفاع متوسط معدل البطالة، وتجاهل الدول العربية التسلطية هذه المشاكل ذات الطابع التنموى والاجتماعى، وتأثيرتها الأمنية والسياسية . وأثار البطالة تتخطى الشقين الاقتصادى والاجتماعى فهى فى الأساس تعطل قوة بشرية فى سن العطاء وهى فئة الشباب الجامعيين القادرين على التنمية والتقدم ببلادهم ودفعها قدما، وهذه الفئة تشكل تربة خصبة للثورة الاجتماعية والسياسية. ووسط انعدام الحرية والمشاركة السياسية والاجتماعية اندفعت الحركة الشبابية . وشكلت شبكة الإنترنت الفضاء والملاذ لحريتها، والتى اضطرت إلى خلقه باعتباره الفضاء الوحيد المتاح لها .

وقد تبلورت رؤية عينة الصحفيين، حول مجموعة من العوامل التى ساهمت فى انفجار الثورة بشكلها السلمى واحدثت تطورا نوعيا فى وعى وقدرات الشباب أنفسهم، وأهم هذه العوامل :

• تطور ثقافة الإحتجاج الاجتماعى، حيث نزلت هذه الحركات الإحتجاجية إلى الشارع المصرى، وهوماترتب عليه كسر حاجز الخوف من بطش الدولة وأجهزة القمع البوليسية، وانتزاع حق التظاهر السلمى فى الشارع المصرى دون انتظار لإستئذان أجهزة الأمن، ورفع مستوى وحدة نقد السلطة وفسادها، وتسليط الضوء على التزاوج بين السلطة والثروة وانغماس رجال الأعمال بالمشاركة مع رموز النظام فى الفساد المالى والسياسى، وزيادة وتيرة الطلب على الديموقراطية لدى قطاعات شعبية واسعة .

• نجاح حركة الشباب فى تحويل مشاركتهم السياسية من المجال الإفتراضى عبر شبكة الإنترنت بوسائطه المتعددة (الفيس بوك / المدونات / الإذاعة الإلكترونية / غرف الدردشة / المجموعات البريدية / المجلات الإلكترونية .. الخ) إلى المجال الواقعى . ولعل الإنضمام إلى حركة "كفاية "عبر التوقيع الإلكترونى على بيانها التأسيسى، والدعوة لتظاهراتها، والمشاركة فيها هوالمحاولة الأولى لتحويل المشاركة السياسية الإفتراضية إلى مشاركة واقعية

• اختبار الأدوات التى وفرتها تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات فى مجال الحشد والتعبئة السياسية ميدانيا، وهوما حاولوا تجربته تحت شعارات ومطالب واضحة، وبناء بؤر نشطة وعلاقات ميدانية بين قطاعات متزايدة من الشباب .
• تنامى قدرة الشباب على تجاوز الحواجز الايديولوجية، وهوما ساهم فى صياغة شعارات ثورة ٢٥ يناير بشكل بسيط وواضح، وبروح التوافق الوطنى العام، وفى مقدمتها شعارات "سلمية .. سلمية"، "حرية ..حرية"، "كرامة .. حرية .. عدالة اجتماعية"، "عيش .. حرية .. كرامة انسانية"، والشعار الأشهر "الشعب يريد إسقاط النظام" وهوما خلق حالة من الإجماع حولها طمست أى محاولة لبروز الإختلافات الايديولوجية السياسية .

واللافت للنظر، أن الرسائل المكتوبة والصور المرسلة عبر الفيس بوك وتويتر والمدونات، قد دعمت الهوية الجمعية للمصريين، الذين أيدوا محاربة النظام الديكتاتورى . فما إن بدأت الثورة حتى قامت الصفحات لتشمل أيضا المصريين بالخارج، فظهرت صفحة "صوت المصريين فى الخارج"، "مصريون فى الخارج يدعمون الثورة "، "الوحدة العربية الجديدة"، علاوة على الإحتجاجات الإفتراضية الداعمة للمحتجين، مثل دعوة المستخدمين لشبكة الإنترنت "مسيرة مليونية" افتراضية تضامنا مع المحتجين المصريين فى الأول من فبراير . ففى الوقت الذى تخرج فيه الملايين للإحتجاج، يصل عدد المؤيدين للمسيرة إلى مليون صوت على صفحة التواصل الإجتماعى . هذه المبادرات جمعت المصريين وغير المصريين معا لدعم الثوار .

وتتبدى معالم هذه الهوية الجمعية بعد سقوط مبارك على الفور . إذ أخذت الرسائل المعبرة عن الفخر والفرح فى الظهور فى خلال ثوان على الشبكة، حيث كتب (البرادعى)على تويتر "اليوم، مصر حرة، ليحمى الله أرض الكنانة" وتنوعت الرسائل للتعبير عن التهنئة والإحتفاء الإجتماعى بسقوط رأس النظام، وكلها تعبيرات متنوعة ترسخ معنى وحدة الهوية .

كما أكد الصحفيون على أن هذه الوسائل الإتصالية التفاعلية الجديدة لم تكن وسائل جيدة للتحفيز والتعبئة والتواصل فقط، بل كانت مصدرا للمعلومات والأخبار التى تعتمد عليها الصفحات الإلكترونية للصحف القائمة، فهى مصدر أساسى ينقل الأخبار أولا بأول، ويوثقها بالصوت والصورة وبالتعبير الإبداعى .

وقد أشارت قلة من الصحفيين إلى أن خريطة الإعلام أخذت فى التغيير، ليس بسبب المنافسة التى تفرض تقديم خدمة إعلامية مميزة فقط، وإنما لأن مساحة الحرية فى مصر باتت أكبر بعد ثورة ٢٥ يناير، حيث تشهد الساحة الإعلامية المصرية ظهور كيانات جديدة تعبر عن تيارات سياسية وفكرية مختلفة لم تكن لها منابر إعلامية للتعبير عنها، وتزايدت المساحة المتاحة للمناقشات السياسية والمجتمعية الجادة بشكل مضطرد .

وفى محاولة لتلخيص واستيعاب أحداث الثورة المصرية وتتابعها، يمكن عرضها فى ستة مسارات، كما قدمها "جمال غيطاس"[٨٩] فى التقرير العربى السابع للتنمية الثقافية ٢٠١٤ وهى :

المسار الأول : هو"التخطيط مقابل الإستهزاء"، وقد استمر هذا المسار من ١٠إلى ٢٥يناير، وفيه لعب الفيس بوك دور الحاضنة الرئيسية لفكرة الثورة والتخطيط لها، ووضع شعاراتها وأسلوب تنفيذها، وفى المقابل كان نظام مبارك يتعامل مع الأمور باستهزاء ولا مبالاة .

المسار الثانى : رفع مستخدموالفيس بوك شعار "الغضب المسالم" كوسيلة لمواجهة العنف من قبل الأمن، وسادت هذه الشعارات صفحات الفيس بوك ومجموعاته خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ يناير، واتسع مضمون الرسائل والمشاركات والتعليقات، ليشمل بث روح التضحية

والشجاعة والثبات على الموقف، كما تكثفت المعلومات ونقل الخبرات والتعليمات التى تشرح تكتيكات التعامل مع الأمن إذا ما حدثت الإشتباكات .

المسار الثالث : ركز شباب الفيس بوك عاى "عدالة القضية فى مواجهة الهجوم العنيف للإعلام الرسمى" وبرز هذا المسار خلال الفترة من ٢١يناير إلى ٣ فبراير، حيث ظهرت عشرات الرسائل والمشاركات والتعليقات التى تؤكد على "عدالة القضية وسلامة القصد"، وذلك كنوع من الرد على الإعلام الرسمى، وما ساقه من اتهامات وأكاذيب وتشويه متعمد لكل من له علاقة بالثورة والثوار .

المسار الرابع : اهتم شباب الفيس بوك بفكرة "التوثيق والتذكير" بما يجرى، وقد انتشر هذا المسار بوضوح خلال الفترة من ٢٨يناير إلى ٣ فبراير، وبسبب ظروف انقطاع الإنترنت خلال هذه الأيام، فإن ناشطى الفيس بوك سرعان ما عمدوا إلى فكرة توثيق هذه الأحداث والتذكير بها فور عودة الخدمة، واستخدام هذه الذاكرة فى تدعيم جهود مقاومة تشويه الإعلام الرسمى .

المسار الخامس : بدأ على الفيس بوك مساء الجمعة ٢٨ يناير، مع أول خطاب حول الأزمة، والذى ألقاه الرئيس المخلوع . وتمثل هذا المسار فى لجوء الشباب إلى تكتيك "التركيز على الهدف"، وهوإسقاط النظام، فى مقابل عملية التفاوض التى أطلقها نظام مبارك، وأدارها رئيس المخابرات الراحل عمر سليمان .

المسار السادس : وهو"الإصرار على التحدى" وقد ظهر هذا المسار بوضوح عقب ما عرف بجمعة الرحيل، يوم ٤ فبراير، واستمر حتى ١١ فبراير، وقد تمحورت المشاركات الخاصة بهذا المسار تحت فكرة "جمعة التحدى والزحف على القصر" يوم ١١ فبراير، الذى انتهت عنده فترة الرصد .

ولعل من أبرز المبادرات التى جسدت استخدام وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة كأداة للحشد والتعبئة للفعل الثورى، من وجهة نظر عينة الدراسة من الصحفيين :

١ – الدعوة للإضراب العام فى أبريل ٢٠٠٨، والذى كان أول دعوة تعرفها مصر منذ ٢٣ يوليو١٩٥٢، واستجاب لها عمال مدينة المحلة، إحدى أكبر القلاع الصناعية فى مصر، ونتج عنها تأسيس إحدى أبرز الحركات الشبابية وهى حركة ٦ أبريل، والتى استمرت انشطتها الإحتجاجية الشبابية طوال تلك الفترة، وبأشكال جديدة ومتنوعة، وامتدت تشكيلاتها إلى معظم محافظات مصر .

٢ – مجموعة " كلنا خالد سعيد " والتى تشكلت ٢٠١٠، فى أعقاب مقتل الشاب خالد سعيد بالأسكندرية على يد رجال الأمن، وخاضت حملة واسعة فى مواجهة التعذيب، ومن أجل محاكمة القتلة ونظمت عشرات الفعاليات الميدانية التى شارك فيها مئات الشباب فى العديد من محافظات مصر، وبأشكال احتجاجية سلمية جديدة ومتنوعة .

٣ – مجموعة " دعم البرادعى " التى دعت إلى حشد الجماهير لإستقباله عند عودته إلى مصر كرمز للتغيير، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير، كما تطورت أنشطتها بعد ذلك لقيادة حملة التوقيع الشعبى على وثيقة مطالب التغيير، وقع عليها نحومليون مواطن .

ومن ثم يمكن القول، أن جموع الشباب التى تصدرت مشهد الثورة المصرية قد استخدمت شبكة الإنترنت بكثافة فى أحداث الربيع العربى وتأثرت إلى حد كبير بمجموعة القيم التى برزت فى "ثقافة الويكى" السائدة على الشبكة، ولعل أبرزها : الإيمان شبه المطلق بأهمية التحرر من أى قيود على حرية التعبير، وانعدام أى شروط للإنضمام فى أى نشاط أومجموعة أوصفحة أومغادرتها، والإعتماد التام على آليات التواصل اللحظى الجماعى، والقناعة الراسخة بحتمية وجود مساواة فى الحقوق والواجبات وتوزيع الأدوار

بالنسبة للجميع، والإعتماد المطلق على التنظيم الشبكى الأفقى الذى يوفر شعورا بالندية والمساواة والإحترام بين كل الأعضاء المشاركين سواء أمام الدولة أم أى تنظيم أومؤسسة فى المجتمع، والتأكيد على إعلاء شأن الفكرة والقيمة والإبداع وروح الجماعة على الأشخاص حتى لوكانوا هم منشئى المجموعة أومن منظميه . ولعل ذلك كله يعبر عن تعاظم دور الوسائل التكنولوجية الجديدة فى ثورة ٢٥ يناير، والذى عبر عنه بعض الصحفيين من عينة الدراسة، بأنها ألية لا يمكن التقليل من شأنها، وأنها قادرة على صناعة الثورات، أى أن الشعب أصبح يرفض السلطة الفوقية، وعمل على كسر احتكار المعلومة، وأنها كانت منبرا للشباب للتعبير عن آلية الرفض للنظام والثورة عليه، ولكنها لم تسبب الثورة، بل جاءت الأخيرة نتاج تراكمات اقتصادية واجتماعية وسياسية على مدى سنوات .

أما عن موقف المجتمع الدولى، فيعد رد فعل المجتمع الدولى ونمط تدخله، أحد أهم الأبعاد التى ساهمت فى صناعة الفارق بين مخرجات الثورات العربية من حالة لأخرى، حيث جرت العادة خلال السنوات الأخيرة أن تجد الثورات السياسية تأييدا واسعا من المجتمع الدولى، ويرتبط هذا التأييد بإجراء عملية سياسية ديموقراطية فى مرحلة ما بعد الثورة تتلخص عادة فى إقامة انتخابات ديموقراطية حرة، بغض النظر عن توافر بيئة سياسية وتشريعية تضمن وجود ديموقراطية تمثيلية حقيقية، فأعراف المجتمع الدولى باتت تعترف بإقامة العملية الإنتخابية كدليل كاف على التحول الديموقراطى . ولكن بالرغم من التأييد الدولى للحراك الشعبى الذى يسعى لإرساء أسس لنظم سياسية ديموقراطية، من غير الممكن الفصل بين مواقف المجتمع الدولى من هذا الحراك وبين مجموعة من المصالح الإستراتيجية، والسياسية، والاقتصادية التى تحكم نمط تدخل الفاعلين الدوليين فى كل حالة على حدة . أى أن التأييد الدولى للنظم السياسية المختلفة يرتبط بأرضية تحكمها المصالح أكثر من ارتباطه بمبادىء الديموقراطية والحرية والتعددية السياسية . وهذا ما أوضحته الغالبية من عينة الصحفيين، وتحليل رؤيتهم لموقف المجتمع الدولى من الثورة والحراك الشعبى والتحول الديموقراطى فى مصر، وعلى حد قول أحد الصحفيين، المجتمع الدولى تعنيه مصالحه، ودائما ما يتوقف لقراءة حجم القوى المتوقع صعودها ليتفاهم معها، ويحافظ بتعاونه معها على مصالحه . وفى المقابل ترى قلة من عينة الدراسة، أن موقف المجتمع الدولى هوموقف مخطط له فى إطار خديعة الربيع العربى، لنشر الفوضى وصناعة شرق أوسط جديد كما خطط له الغرب .

وقياسا على الحالة المصرية، فقدأشار "ميشيل كوبر Michaei Cooper "[٩٠] إلى أن المجتمع الدولى كان مؤيدا لثورة ٢٥ يناير، من خلال التأييد الواسع لأحداث ميدان التحرير، بالرغم من حالة الترقب التى تزامنت مع الأيام الأولى من اعتصام ميدان التحرير، إلا أنه بدءا من الأسبوع الأول من فبراير، بدأت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول الإتحاد الاوربى فى التصريح بضرورة الإعداد لعملية انتقال منظم للسلطة فى مصر . وقد جاءت ردود الفعل الدولية عقب رحيل مبارك نوعا من المزيج بين الترحاب بقرار التنحى ودخول مصر مرحلة تحول ديموقراطى، وبين الإعراب عن الإستعداد لتقديم المساعدات لعودة الإستقرار السياسى لمصر من خلال عملية سياسية ديموقراطية . وبالتالى، فإن عامل المجتمع الدولى لم يكن له تأثير مباشر على مسار الثورة فى مصر، فلم يتدخل الفاعلون الدوليون فى مصر بشكل مباشر وصريح، كما أنهم لم يقوموا بقطع علاقاتهم مع مصر تأييدا لأى رئيس . وعلى حد قول أحد الصحفيين من عينة الدراسة، أن القوى الدولية بتلعب مع اللى ماسك جادون العجلة .

ونافلة القول، إن ثورات الربيع العربى، حركت الشوارع العربية، وخلقت حالة ذعر لأنظمة استبدادية عافاها الزمن، ولكنها فى نفس الوقت لم تكن مدروسة الخطى على المدى البعيد، فاقتصر الهدف فيها على اسقاط النظام من دون تنظيم أوتخطيط للمستقبل، لما بعد إسقاط النظام، مما خلق بلبلة بعد نجاح الثورة بتحقيق مطلبها، والتى لم يلبث شعبها يخرج من الشارع محتفلا بالنصر الذى حققه بإسقاط الرئيس مبارك وانتخاب محمد مرسى رئيسا جديدا إلى أن عاد مرة أخرى إلى ذلك الشارع مجددا للتظاهر ضد مرشح الإخوان المسلمين، والإعتراض والإنقلاب عليه رسميا فى ٣٠ يونيو٢٠١٣ تحت شعار "ارحل" وتم اسقاطه أيضا فى الشارع فى ٣٠ يونيوبعد مظاهرات مليونية على مدى أربعة أيام فى القاهرة والأسكندرية وسائر المدن الكبرى ومراكز المحافظات، قبل أن تقتحم الفوضى الشارع بدموية .

وعليه، فقد خلقت ثورة ٢٥ يناير، معادلة جديدة، كسرت من خلالها الصمت على ما لا يريده الشعب، مما يجعل منها محطة هامة فى التاريخ المصرى، تستحق الدراسة بعمق، والبحث عن العوامل التى ساهمت فى تحريكها وإنجاحها ..

المرحلة الثالثة : نتائج الثورة :

شكلت ثورات الربيع العربى نقطة تحول كبرى وانعطافة تاريخية هامة فى المشهد السياسى، حيث تغيرت موازين القوى : شكل الدولة، طبيعة النظام، ونمط إدارة المجتمع . وكان ذلك كله تحت تأثير عاملين أساسيين، الأول، (داخلى) ويتمثل فى الحراك الاجتماعى، والثانى، (خارجى) ويتمثل فى تأثيرات المحيط الإقليمى والدولى سلبا أوإيجابا . حيث بدأ هذا الربيع مساره من العالم "الإفتراضى" تواصلا وتعبئة، ليتحول إلي قوة هائلة علي أرض الواقع بفعل خروج الجماهير، في مليونيات منتظمة في حشود جماعية ضمت كل الأطياف والفئات بمختلف تشكيلاتها الأيديولوجية والفكرية والدينية، استجابة لنداء التغيير عبر رفع شعار " حرية، كرامة، عدالة اجتماعية " من أجل صياغة عقد اجتماعي جديد يؤسس لنظام يستمد شرعيته من الإرادة الجماعية لضمان بناء دولة المؤسسات والقانون والحريات .

ولقد فرضت الجموع المحتجة ثقافة تغيير جديدة لأول مرة حيث أصبحت إرادة الشعب معادلة سياسية رئيسية ورقما أساسيا يمكن أن يغير معالم المشهد السياسي عبر التعبير عن طموحات واختيارات جديدة للتغيير والإصلاح . ويمكن القول بأن ما حدث هوبداية قطع العلاقة مع خوف الماضي وإعادة تعريف دور المجتمع، من دولة اختزلت المواطنة في قواعد السلوك والإنضباط والخنوع بالكيفية التي تضمن ديمومة السلطة إلي دولة ينطق تشييدها من المواطن ولأجله . إنه إيذان بكسر عقلية النخبة والإنتقال إلي المجتمع التداولي، حيث يصبح كل الناس فاعلون ومشاركون في أعمال البناء والإنماء، كل من موقعه وبأدوات اختصاصه .

حتى أن الفاعل الإحتجاجي لم يعد يتجسد في المناضل الحزبي ولا النقابي، بل ظهر بوصفه فاعلا ذا شخصية مستقلة، لكنها شبكية، هذا الفاعل الجديد سئم من الأنساق التنظيمية والحزبية الضيقة الأفق والتفكير، واقتنع بعدم جدواها وبعجزها عن قيادة التغيير، ولم يعد يؤمن بضرورة وجود الزعيم الكاريزمي الذي يقود الجماهير ويستلهمها . إنه حراك سياسي انطلق بمجهود جماعي وليس من السهل كشف مركزه ومحركه أومعرفة طبيعة آليات إشتغاله . لقد انصرفت هذه القوي الشبابية عن قنوات المشاركة الشرعية، بعد أن يئست من امكانية تحقيق مطالبها في ظل القيود التي فرضتها الأنظمة السلطوية علي الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، فاعتمدت علي المشاركة غير التقليدية عبر التظاهرات والاعتصامات وأحيانا العصيان المدني .

وإذا كانت الأحزاب والقوى السياسية قد أعلنت تضامنها والتحامها مع الإحتجاجات الشعبية، إلا أن الملاحظ من وجهة نظر أغلبية الصحفيين عينة الدراسة، أنها لعبت دورا تابعا لدور القوى الشعبية الشبابية، فلم تبادر النخب السياسية للدعوة لهذه الإحتجاجات الشعبية بل فى بعض الأحيان تأخرت فى الإعلان عن تأييدها للقوى الشبابية، إلا أنه أمام تصاعد وتيرة الإحتجاجات وانضمام كتل اجتماعية مهمة إليها تراجعت الأحزاب عن حذرها وأعلنت التحاقها بالحراك الشعبى، وقد رأى البعض فى موقف الأحزاب والقوى السياسية محاولة لركوب موجة الإحتجاجات واختطافها لخدمة مصالحها الخاصة . ومن موقف الأحزاب والقوى السياسية إلى أزمة النخبة السياسية المصرية، والتى كشفت عنها الثورة المصرية، حيث بدت هذه النخبة طوال الوقت، متشرذمة وغارقة فى دوامة لا تنتهى من الخلافات والإنقسامات، الأمر الذى جعلها عاجزة عن بناء توافق وطنى حقيقى حول القضايا المصرية الكبرى، كما أنها نخبة تسلطية فكرا وممارسة، ينقصها الإلتزام والمصداقية، كما ينقصها كوادر مؤهلة فكريا وإداريا وتنظيميا لممارسة الحكم أوالمعارضة، بقدر يعتد به من الفاعلية والكفاءة .

ويمكن إيجاز أهم نتائج ثورة ٢٥ يناير المصرية من وجهة نظر الصحفيين عينة الدراسة، فيما يلى :

- نجحت بمطالبها الاجتماعية والسياسية فى الضغط على النظام وإسقاط الرئيس من سدة الحكم، واستحداث حالة من الحراك السياسى فى الشارع المصرى .
- كسر مايمكن تسميته "التكافل السكونى التبادلى" بين وعى الأفراد، ووعى السلطة الممتد فى كل مكان، والذى يحدث عندما يسكن الوعى الجمعى للناس وجميع الأنساق الثقافية للواقع فى حوزة الولاء العام، الذى دشنته السلطة فى جميع تصورات الواقع والحياة المحيطة بهم، حيث اختزل النظام التسلطى الحاكم كل الوجود من حوله فى قواعد نظامه .
- كسر حاجز الخوف – على حد تعبير أحد الصحفيين – وصعود جيل جديد من الشباب الرافض للنظم الإستبدادية، والراغب فى التغيير، أى تحريك الراكد سياسيا .
- بعثت الروح فى جسد المعارضة السياسية المنهكة بخلافاتها الداخلية والخارجية، فلأول مرة تنجح حركات المعارضة الرئيسية، بمختلف أطيافها الفكرية فى إصدار بيان مشترك يساند الإحتجاجات ويتبنى مطالبها .
- أفشلت مشروع توريث الحكم، الذى كان تداوله قد بدأ فى المشهد السياسى .
- عبرت بقوة عن إفلاس الأحزاب السياسية والمجتمعات المدنية، وفقرها السياسى والمجتمعى وعمق أزمتها مع الجماهير .
- كشفت عن أزمات التحول السياسى التى يتخبط فيها النظام السياسى، من أزمة الشرعية، وأزمة المشاركة السياسية، إلى أزمة النظام البنيوى، وتقييد التعددية السياسية .
- أثبتت أن الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لا معنى لها بدون اصلاحات سياسية، فالفساد السياسى مناخ مؤات لخدمة طبقة واحدة، هى طبقة السياسيين، بينما يتحول باقى الشعب إلى فقراء متفرجين، وربما كانت هذه الهبة الشعبية هى مدخل الشعب المصرى للتحرر السياسى .
- دلت على عدم قدرة المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة على استيعاب مطالب قوى اجتماعية جديدة "فئات المتعطلين من أصحاب الشهادات العليا" .
- أكدت عدم جدوى الحل الأمنى فى معالجة مشكلات السياسات العامة وقمع الحريات العامة والفردية .

- بينت عجز الأنظمة وعدم استطاعتها اخفاء الإنتهاكات والتجاوزات التى تمس حقوق الإنسان وحرية الصحافة فى زمن ثورة المعلومات والإعلام الجديد .
- انكسار هالة القدسية – على حد تعبير أحد الصحفيين – حول الشخصيات السياسية، وحتى رئيس الدولة .
- ازدياد قوة المواطن الصحفى، حيث أصبحت مصداقيته أعلى من مصداقية وسائل الإعلام المستقلة .

وإضافة إلى هذه النتائج، ترى قلة من عينة الدراسة من الصحفيين، أن من نتائج الثورة، نشر الفوضى وتحقيق أهداف غربية وتمكين الإخوان المسلمين من الحكم، وضعف الثقة بين المواطن والقوى الحاكمة، وانتشار الكراهية والحقد، واختفاء روح الود والمحبة والتقدير بدعوى الحرية، والإعتداء على الأفراد، وانتشار الإتهامات بالعمالة والخيانة، وضياع الهوية المصرية .

وأضافت هذه القلة أيضا، تنامى ارتباط أعضاء الجماعات الدينية فى مصر بتنظمات أكبر اقليميا وعالميا – إعادة قراءة العالم لخريطته الإستثمارية ومن بينها مصر فى المنطقة العربية – انتشار عمليات العنف المسلح لدى قوى صعدت إلى السلطة على حساب الدين وعزلت منها .

والجدير بالذكر، أن الثورة المصرية، ثورة ذات نمط خاص، كما وصفها "آصف بيات" [٩١] حيث أنها تختلف عن الأنماط والمسارات الثورية الأخرى . فالمسار الأول، هو"التغيير الإصلاحى " Reformist Change، وهوالإصلاح من خلال الضغط على النظام الحاكم وإجباره على القيام بإصلاح سياسى من داخله، كما حدث فى المكسيك، وفى هذه الحالة قد يكون الإصلاح سطحيا . والمسار الثانى، "نموذج التمرد والعصيان" Insurrectionary Modle وفيه تقوم القوة العسكرية بإنقلاب يجبر النظام القديم على الرحيل بالقوة ثم يلحق الشعب بهذه الثورة ويدعمها، كما حدث فى روسيا وكوبا . أما المسار الثالث، "نموذج انهيار النظام" Regim Implosion حيث تتراكم الحركة الثورية من خلال الإضرابات العامة والعصيان المدنى، مما يؤدى إلى انهيار النظام كما فى رومانيا.

ويؤكد (آصف) أن الثورة المصرية أقرب إلى الثورة البرتقالية فى أوكرانيا، وثورة الورود فى جورجيا، حيث تواصلت الإحتجاجات الشعبية الواسة النطاق حتى أسقطت النظام، إلا أن الحالة المصرية أكثر ثورية منهم، فقد كانت لديها قوة تحرر هائلة وحلم كبير بالوصول إلى نظام جديد وعادل . وقد وصف (آصف) ماحدث فى مصر بأنه (ثورة إصلاحية Refolution) أى خليط بين الثورة والإصلاح "فهى أكثر من إصلاح وأقل من ثورة" فالثورة لم تغير النظام بالكامل والقوى المعارضة لم تأت للحكم ولم تتول عملية تغيير النظام، كما أن مؤسسات الدولة لم تنهر وإنما تقوم بعملية إصلاح لنفسها من الداخل .
- ومن أهم نتائج الثورة، هوالتأكيد على دور وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة وتفعيلها داخل التشكيلات الاجتماعية والثقافية والسياسية من خلال منظومة المجتمعات الإفتراضية التى انتقلت إلى حيز الواقع الفعلى فى التطبيق والحركة الدينامية نظرا لما يتسم به المجتمع الإفتراضى من المرونة، وانهيار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدى، فذلك المجتمع الإفتراضى لا يتحدد بالجغرافيا بل بالإهتمامات المشتركة التى تجمع معا أشخاصا لم يعرف كل منهم الآخر بالضرورة قبل الإلتقاء إليكترونيا . كما تتميز بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهى بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدى . فهذه المجتمعات الإفتراضية هى

فضاءات رحبة مفتوحة للتمرد والثورة، بداية من التمرد على الخجل والإنطواء، وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية .

ولعل دور وسائط الإتصال التفاعلى الجديدة ظهر بقوة كرد فعل أمام عجز وإخفاق الوسائط التقليدية، والذى سببه تضييق الأنظمة الحاكمة من جهة، وغياب الديموقراطية الداخلية فى معظمها من جهة أخرى، وتحولها إلى الأهداف المصلحية الآنية من جهة ثالثة، مما دفع الشباب للجوء إلى وسائط أخرى داخل الفضاء الإلكترونى . وقد أضافت التقنية الرقمية شريحة جديدة إلى المثقفين، هى تلك التى تضم التقنى لفنون الكمبيوتر ومعطيات الثورة الرقمية،وكذلك المستخدم المتفاعل بوعى للشبكة أيا كان عمره أوتخصصه، وسمحت هذه الوسائط الإتصالية للكثيرين بنقل كم هائل من المعلومات والصور والفيديوهات إلى العالم داخليا وخارجيا مما ساعد فى اقناع المجتمعات العربية بالتحرك والخروج من الواقع الإفتراضى إلى الشارع الحقيقى .

وتجمع عينة الدراسة من الصحفيين، على أنه برغم أهمية الدور الذى لعبته وسائط الإتصال فى عملية الحشد الإلكترونى والتعبئة للحراك السياسى والاجتماعى داخل الثورة المصرية، إلا نه لايمكن الإقرار بأن ثمة علاقة سببية مباشرة بين التحركات الجماهيرية والتقنيات الإتصالية الحديثة، وأنها هى التى ولدت بشكل مباشر هذا الحراك الثورى فى العديد من دول المنطقة العربية، مما لاشك فيه أن هذه التقنيات يسرت، وسهلت بل واتاحت تبادل الأفكار والمعلومات والمقترحات، وتحديد مواعيد الإحتجاج وعمليات التنسيق والتنفيذ والمتابعة، والأمر قد ينحصر هنا، والباقى تتكفل به الجماهير التى نزلت إلى الفضاء العام، مطالبة ومضحية وعازمة على أمورها بكل إصرار وثبات ..

أى أنه من غير الممكن اختزال واختصار المسار الذى اتخذته الثورة المصرية فى عامل واحد أوفاعل بعينه، بل تداخلت مجموعة من العوامل والأحداث مع بعضها البعض لتشكل مسارا سياسيا، فمصر بها واقع سياسى راسخ، وموازين قوة ثابتة، وطبيعة بنيوية ذات أسس صلبة، بحيث لم يكن بمقدور ثمانية عشر يوما من الإعتصام السلمى تغيير ثوابت تم بناء عليها هيكل دولة وإطار حاكم للنظام السياسى منذ خمسينيات القرن العشرين، وفى النهاية يجب أن ندرك أنه إذا لم تتمكن الثورة من إحداث تغيير شامل، تظل محاولات الإصلاح قادرة على علاج عدد من المثالب إذا ما توافرت الإرادة السياسية لذلك .

ثامنا: نتائج الدراسة النظرية والتحليلية :

- لا تحدث الثورة - أى ثورة- إلا فى سياق تاريخى محدد لها، يماثل تماما العلاقة بين النص والسياق، حيث تمثل الثورة "النص Text" الذى يجب فك شفراته لمعرفة منطقه الداخلى وعوامل حدوثه، بالإضافة إلى تأثير العوامل الدولية عليه، أما "السياق Context" فهوالمرحلة التاريخية التى وقعت فيها الثورة .
- تنوعت الأسئلة البحثية والأطر النظرية فيما يتعلق بالحديث عن الثورة، بدءا من المرحلة الكلاسيكية التى قامت على كتابات كارل ماركس وانجلز وماكس فيبر، والتى اهتمت بأسئلة تتعلق بالصراع بين الطبقات وهيكل الدولة المركزية والكاريزما السياسية ودورها فى تطوير هيكل بيروقراطى، أومرحلة الحداثة التى اعتمدت على عدد من الإسهامات النظرية لمفكرين مثل صاموئيل هنتجتون، وتشارلز تيلى .. وكانت الأسئلة البحثية فى هذه المرحلة تهتم بتأثير تحديث المجتمعات وزيادة الطلب على المشاركة السياسية، أوعلى الموارد المتاحة للفاعلين المختلفين فى العملية الثورية، وأخيرا حالة المجال العام، وطبيعة الفرصة السياسية المتاحة .

- الحالة الثورية المصرية هى تعبير عن التناقضات الموجودة فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهى تمثل ذروة تفاقمها، حيث تحدث الثورة نتيجة مقدمات وشروط محددة تبرز فى إطار تطور المجتمع، تؤدى إلى وجود تناقضات أساسية تتحدد فى التناقض بين الطابع الاجتماعى للإنتاج وشكل التملك الخاص، مما يؤدى إلى اتساع الشعور بالظلم والإستغلال الذى يمارس من قبل فئة قليلة مالكة، وتؤدى هذه التناقضات إلى أزمة سياسية عميقة تحمل معها نشوء حالة ثورية تتجسد بنشاط الجماهير السياسى الواسع من خلال التمرد على الواقع بأشكال ومظاهر متعددة مثل المظاهرات والاجتماعات المعبئة والاعتصام وغيرها .
- المفارقة الواضحة بين النظام القديم والنظام الثورى الجديد، حيث دأب النظام القديم قبل الثورة على وصل الفروع بالأصول، وتثبيت التشابهات الإصلاحية الوهمية، والتراكمات السياسية القهرية، والتكرارات الانتخابية التزويرية، بما يرسخ الحقائق المستمرة ليكون الوضع السياسى والثقافى والاجتماعى العام متمثلا فى (الاستمرار فى مقابل الإستقرار) . ولكن النظام الثورى الجديد يخلق قطعا معرفيا وسياسيا وثقافيا حاسما فى جسد النظام السابق كله، بما يفكك أركان النظام كله وينفى فكرة الحضور الزمنى التاريخى نفسه، ليقر حضورا تاريخيا وزمنية أخرى، هى بطبيعتها خارج زمنية النظام القديم .
- عجزت واخفقت وسائط الاتصال التقليدية السياسية والفكرية والاعلامية عن مسايرة الفعل الثورى، مما دفع الشباب للبحث عن سبل بديلة للمشاركة فى المجالين العام والسياسى، وكانت وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة هى البديل الذى تميز بالسرعة والتفاعل اللذين كانت تفتقر إليهما تقنيات التعبئة التقليدية .
- لم تكن الانظمة العربية على دراية ووعى بالتحول الذى كان يحدث معرفيا ومعلوماتيا – ومن ثم حركيا وثقافيا – لدى الشباب، حيث كانت الأداة الرئيسية لذلك التحول على مستوى المعرفة والحركة معا تتمثل فى وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة . وذلك يعنى أن خميرة الثورة المصرية كانت تتكون على محورين، الأول، محور التواصل الشبابى الفعال والفورى مع الوسائط الجديدة والثقافة العالمية فى جانبها المعلوماتى والمعرفى والحركى، والثانى، محور التصاعد فى سياسات أمنية مريعة تقوم على الاستبداد والطغيان وتهديد حياة البعض، خاصة الشباب النشط عبر وسائط الاتصال الجديدة .
- هجرة الشباب من المجتمع الواقعى بكل ما يزخر به من قيود على حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية التنظيم، والعمل بالسياسة بدون قهر وقيود وضعتها النظم السلطوية، إلى العالم الإفتراضى، الذى خلقته شبكة الإنترنت، حيث يمارسون حرياتهم بطلاقة وسهولة، ويمارسون النقد السياسى للنظم السياسية المستبدة . والتالى حقق هذا العالم الإفتراضى بوسائطه، عنصر التعبئة عن بعد – إذا ما قورن بوسائط الاتصال التقليدية، وقصور الأطر المؤسسية كالأحزاب ومنظمات المجتمع المدنى .
- تشكل وعيا ثقافيا جديدا لدى الشباب عبر المجتمع الفضائى بفضل تمكنه من أدوات تواصلية جديدة، مما أسعفه على ترويج خطاب التغيير والتأثير فى فئات عريضة من المواطنين، وهذا ما عجزت عنه الأحزاب السياسية خلال سنوات بسبب تشبثها بأساليب تقليدية، حالت دون إيصال خطابها إلى الفئات المستهدفة . ومن ثم تشكل لدى الشباب عبر الفضاء السيبرانى "ثقافة الإنترنت" تلك الثقافة التى تتضمن عناصر ومفردات ورموز تملك امكانية دعم التغيير، باعتباره محركا أساسيا لتسريع وتيرة التنمية المستدامة، ودمقرطة المؤسسات الاجتماعية، وترسيخ الثقافة التشاركية .

- اسقطت ثورة ٢٥ يناير أسطورة التنظيمات السياسية التى تقود المتظاهرين إلى الإحتجاج، وعكست المعادلة، فالدعوة للتظاهر لا تستلزم بالضرورة وجود تنظيم محكم ودقيق، بل قد يتم الإكتفاء بإعلان الدعوة عبر وسائط الاتصال فيستجيب الشباب ويتجمعوا فى مختلف الميادين وفى توقيت محدد وأماكن مختارة، ودون قيادة معينة، أوأجندة سياسية .
- ساعدت نظريتى، الإستخدامات والإشباعات، وتعبئة الموارد، فى فهم طبيعة الإشباع الذى حققته وسائط الاتصال التفاعلى الجديدة لمستخدميها من الشباب خلال ثورة ٢٥ يناير، وكذلك الدور الذى لعبته تلك الوسائط فى عملية التعبئة والدعم الثورى . خاصة من خلال ظاهرتى، المواطن الصحفى، والتسريب الشعبى، من خلال تصوير مشاهد معينة ونشرها، واجبار وسائل الاعلام على التغطية . كما استطاعت هذه الوسائط الاتصالية أن تكون موردا اساسيا، استخدم بفعالية فى ولادة الثورة واستدامتها، حيث ركزت على كيفية تنظيم الحركات الثورية، وكيفية اختيار المشاركون للموارد من شبكة الهياكل الاجتماعية والمؤسسية الأكبر، ويستخدمونها لتحقيق أهدافهم .
- أسفرت نتائج المقابلات المتعمقة مع عينة الدراسة من الصحفيين، أن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ هى نتاج مجموعة تراكمات، تفاقمت على مدى ثلاثين عاما من القهر والحرمان، والفساد الذى استشرى فى الهيئات الحكومية، وافتقاد الإنتخابات الرئاسية والبرلمانية للشفافية، وأحوال سياسية محبطة للمواطن المصرى تمنعه من حرية التعبير والإحتجاج والمشاركة فى الحياة السياسية العامة، وتزايد معدلات الحرمان المادى والمعنوى، وفى ظل نظام تعليمى واه، وبطالة عامة . وكانت حادثة مقتل الشاب خالد سعيد بمثابة القشة، كما كان إسقاط النظام التونسى من أحد الأسباب الممهدة لإندلاع الثورة نظرا لتشابه البلدين فى النظام الفاسد المستبد.
- أوضحت عينة الصحفيين، أن أشكال الاستبداد، التى تزيد من سخط الشعب المصرى وإحساسه بالظلم والحرمان، وسوء الأوضاع فى المجتمع، تتعدد، فالاستبداد السياسى، يتمثل فى احتكار الحكم ومنع أى مشاركة للشرائح الشعبية والقوى المختلفة من تقاسم السلطة، أما الاستبداد الاجتماعى، فهوولد غياب العدالة الاجتماعية وسيطرة فئة محدودة على المقدرات وإقصاء غالبية البناء الاجتماعى مما يفرز ظلم اجتماعى وأمراض داخل المجتمع نتيجة لهذا الواقع، ويشعر المواطن أن هذا النظام لا يعبر عنه بل عن فئة محددة، والاستبداد الاقتصادى، هواحتكار المقدرات، وتزاوج المال والسلطة مما أدى إلى تركز رأس المال فى عدد محدود وقليل على حساب الغالبية .
- من وجهة نظر أغلبية الصحفيين، أن الأحزاب السياسية لم تتمكن من القيام بدور فاعل . ومؤثر فى الحياة السياسية والاجتماعية، ولم تقم بتمثيل المصالح ونقل انشغالات الشباب إلى أجندة السياسة العامة للحكومة، فأصبحت عاجزة بسبب تقادم أفكارها وايديولوجيتها وأساليبها فى الدعاية والممارسة ومختلف أشكال الفعل السياسى .
- كما رأت عينة الصحفيين، أنه من أبرز تجليات أزمة النخبة السياسية فى مصر، أنها بلا قواعد اجتماعية، بما يؤكد على عمق الفجوة التى تفصلها عن الجماهير، لاسيما أنه ليس لدى أى من فصائل هذه النخبة مشروع وطنى يمكن أن يلتف حوله الشعب، ويلهم وجدانه الوطنى، فغياب المشروع الوطنى كان من أهم جوانب العجز فى نظام مبارك . كما تعانى الأحزاب السياسية من مشاكل كثيرة منها، ضعف الإلتزام الحزبى، وتزايد الإنشقاقات الحزبية، وتراجع حجم العضوية، وضعف اعداد القيادات الجديدة، وضعف الموارد المالية ... وغيرها .

- وأخيرا، تقع الثورة المصرية فى تمسكها الصارم بالحد الأقصى لأهدافها فى مصاف الثورات الجذرية (الراديكالية)، من دون أن يفقدها ذلك محتواها الديموقراطى، وطابعها السلمى، اللذين بلغ الإصرار عليهما أعلى مبلغ .
- انتهج الشباب استراتيجيات تجديدية مع النظام السائد، أى قدم الناشطون طريقة جديدة لصنع السياسة، فهم لا ينتظرون الفرص ولكنهم يخلقونها، حيث يتطلعون إلى عملية تحول مجتمعى سياسى واقتصادى واجتماعى، ويرون فى النخبة الجديدة غير المركزية وغير الايدولوجية وغير المؤسسة، فرصا أكبر فى مشاركة الجماهير فى اختيار نظامها الجديد .

Abstract

Interactive Social Media and Virtual Mobilization for Revolutionary Action An Analytical Sociological Study from The Point of View of a Sample of Journalists

By Eman ezz el arab

The study aims to identify the role of the interactive social media in the revolutionary transformation and popular movement of the 25 January Revolution in Egypt through the process of virtual mobilization, which resulted in the successful overthrow of the Mubarak regime. This is demonstrated through in-depth interviews with a sample of journalists (national, party and independent newspapers) in their capacity as observers of the event on a daily basis in the field of traditional and new media in the cyberspace. Hence, it was possible for them to record, analyze and provide the social visions of the role of these media in the Egyptian revolution

مراجع الدراسة :

١. محمد شفيق : البحث العلمى، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، الأسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٣، ص ١٠٨ .
٢. عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٨٢، ص ص ٢٤٠ – ٢٤١
٣. محمد الجوهرى : علم الاجتماع (النظرية، الموضوع، المنهج)، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص٣٤٧ .
٤. جون سكوت وجوردون مارشال : موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهرى وأخرون، المركز القومى للترجمة بالقاهرة، ٢٠١١، ص ٤١١
٥. ليا ليفرو: وسائل الاعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة، هبه ربيع، المركز القومى للترجمة بالقاهرة، ٢٠١٦، ص ص ٢٦-٢٩
٦. Melucc,A : Challenging Codes : Collective action in the information age , Cambridge university press, 1996, pp.289-290
٧. Castells,M : Communication Power , oxford and New York : oxford university press, 2009, pp.267-270

٨. السيد الحسينى : علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا، الاسكندرية، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٣٠٨
٩. اسماعيل سعد : قضايا المجتمع والسياسة، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص
١٠. جون سكوت وجوردون مارشال، مرجع سابق، ص ٤٧٢
١١. شعبان طاهر الأسود : علم الاجتماع السياسى، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١، ص ص ٤٦-٤٧
١٢. أ . س . كوهان : مقدمة فى نظريات الثورة، ترجمة، فاروق عبد القادر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص ص ٢٠-٢٥
13. Faris, David: Revolutions without Revolutionaries? Social Media Networks and Regime Response in Egypt,A Dissertation in Political Science, Presented to The Facuities Of The University Of Pennsylvania in Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy,2010
١٤. مصعب حسام الدين لطفى : دور مواقع التواصل الاجتماعى "الفيسبوك" فى عملية التغيير السياسى، مصرنموذجا، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس/فلسطين، ٢٠١٢
15. O'Connel,Carrie Noelle : Network Theory and Political Revolution: A Case Study of The Role of Social Media in The Diffusion of Twitter Communication During the Egyptian Revolution, Master of Arts in Communication San Diego State University,2014
16. Bucca,Ronald : Social Media and Revolution : A Comparison of France in 1789 and Egypt in 2011, Master of Arts in Liberal Studies, Dartmouth College Hanover, New Hampshire,2014
١٧. ماهيتاب مجدى محمود : دور شبكات التواصل الاجتماعى فى توجيه الرأى العام نحوثورة الخامس والعشرين من يناير، دراسة ميدانية على شباب الجامعات المصرية، ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٤
١٨. شرين محمد كدوانى : استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية على الإنترنت وعلاقته بالتحول الديموقراطى، دراسة تطبيقية، دكتوراه، جامعة أسيوط، كلية الآداب، قسم الاعلام، ٢٠١٤
19. Obeid, Azam,A : Social Media Impact on Arab Spring , A Comparison Study Between Four Middle Eastern Countries, Master of Arts in Communication, Hawaii Pacific University, Department of Communication, 2015
٢٠. حسنى محمد نصر : من الإنترنت إلى الشارع : وسائل الاعلام الاجتماعية وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر، جامعة السلطان قابوس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٧/ ٢٠١٥
٢١. صفاء عبد الخالق أبوالمعاطى : دور موقعى الفيسبوك وتويتر فى تنمية الوعى الوطنى لدى الشباب، دراسة ميدانية لدور شبكة الانترنت فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٥
22. Alaimo ,Kara: How to Facebook Arabic Page "We Are All Khaled Said " Helped Promote the Egyptian Revolution ,Social Media & Society, July-December, SAGA,2015
٢٣. سيدة حسانين راغب : دور مواقع التواصل الاجتماعى فى تشكيل الوعى السياسى لدى الشباب فى ضوء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، دراسة ميدانية على عينة من الشباب، ماجستير، جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦
٢٤. نسرين عجب : الثورة الإفتراضية : دور مواقع التواصل الاجتماعى فى الثورات، العربى للنشر والتوزيع، ٢٠١٦

٢٥. Kharroub, Tamara,and Bas, Ozen : Social Media and Protests : An Examination of Twitter Images of The 2011 Egyptian Revolution,New Media & Society ,Vol. 18(9) 1973-1992, SAGA,2016

٢٦. مى العبد لله : الاتصال والديموقراطية، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥، ص ٢١

٢٧. نصر الدين لعياطى : الرهانات الإبستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفى نحوآفاق جديدة لبحوث الاعلام والاتصال فى المنطقة العربية، أبحاث المؤتمر الأول (الاعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد)، جامعة البحرين، ٧-٩ أبريل ٢٠٠٩، ص ص ١٨-١٩

٢٨. على محمد رحومة : الإنترنت والمنظومة التكنو- اجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧،

٢٩. بشرى جميل الراوى : دور مواقع التواصل الاجتماعى فى التغيير، مدخل نظرى، مجلة الباحث الاعلامى، العدد ١٨، ٢٠١٢، ص ٩٨

٣٠. نصر الدين لعياطى : مرجع سابق، ص ١٩

٣١. نسرين عجب، مرجع سابق، ص ص ٤٨ -٤٩

٣٢. جون سكوت وجوردون مارشال، مرجع سابق، ص ص ٤٣٦ – ٤٣٧

33. Gusfield, J.R: The Flexivity of Social Movement: Collective Behavior and mass society theory revisited. In E. Larana, H. Johnston, and J. R. Gusfield (eds.),New Social Movements : From ideology to indentity , Philadelphia, PA : Temple university press , 1994, pp. 58-78

34. Ibid, pp. 80-85

35. Garrett, R.k: Protest in an information society : A review of literature on social movments and new ICTs. Informatiom communication&society,9(2),2006, pp. 202-210

36. Juris,J.S.: Networking Futures : The movements against corporate globalization . Durham,NC: Duke university press, 2008, p. 135

37. Tilly,C. : From Mobilization to revolution, Reading, Mass Addision, Wesley publishing company, 1978, p.140

٣٨. محمد سعد ابراهيم : الاعلام التنموى والتعددية الحزبية، القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر، ٢٠٠٢، ص ص ٢٧٤-٢٧٥

٣٩. أحمد زايد : آركيولوجيا الثورة وإعادة البعث للطبقة الوسطى، مجلة الديموقراطية، العدد ٤٢، ابريل ٢٠١١، ص ٢١

٤٠. على ليلة : متغيرات الثورة فى النظام العربى المعاصر، قراءة فى صفحات ثورة يناير المصرية، بحث فى ندوة بعنوان : الشباب العربى وثورة الاتصالات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ديسمبر ٢٠١٢، ص ٣٤

41. Mainwaring,S. : Exactling What Role Did Social Media in the Egyptain Revolution ?, Fast company (on-line), 2011 …Available : www.Fast company.com//727466/html

٤٢. أحمد تهامى عبد الحى : لماذا لم تتنبأ العلوم الاجتماعية بالثورات العربية، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد ١٨٦، أكتوبر ٢٠١١، ص٤٦

٤٣. المرجع السابق، ص ٤٩

٤٤. محمد السعيد ادريس : مقدمات الثورة، فى : عمروهاشم ربيع (محرر) ثورة ٢٥ يناير : قراءة أولية ورؤية مستقبلية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١١، ص٧

٤٥. شعبان طاهر الأسود، مرجع سابق، ص ٤٧

٤٦. أ . س . كوهان، مرجع سابق، ص ص٢١-٢٢

٤٧. زياد عقل : التفسير النظرى للثورات : تطور المفاهيم وتنوع الأسئلة، أحوال مصرية، مايو٢٠١٥، ص ص ٢٠-٢١

48. Tilly, C. : Dose modernization breed revolution, from comparative politics,The city university of New York, 1973,vol.5, pp. 425-437

49. Tilly, C. : From Mobilization to Revolution, op.cit . pp. 145-150

٥٠. أحمد مجدى حجازى : الثورة المصرية، علامة حضارية فارقة، مجلة الديموقراطية، العدد ٤٢، أبريل ٢٠١١، ص ص ٣٨-٣٩

٥١. أيمن تعليب : الثورة والوجود، أسئلة الثورات العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ٢٠١١، ص ص ٣٣-٣٤

٥٢. أحمد زايد : آركيولوجيا الثورة، مرجع سابق

٥٣. زكى بنى أرشيد : دور القوى والأحزاب فى الثورات العربية، متاح فى : arab nyheter.info,start,29/10/2011

٥٤. على ليلة وأخرون : الثورة والدولة والمجتمع، بحث فى فواعل التغيير، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، المرصد الاجتماعى، ٢٠١٣، ص ١٠٢

٥٥. السيد يس : الحراك السياسى والتحول الديموقراطى، الأهرام اليومى الرقمى، بتاريخ ١٧ديسمبر٢٠٠٩، متاح فى : digital ahram.org/articles.aspx?serial=19350&eid=448

٥٦. ناجى عبد النور : الحركات الاحتجاجية فى تونس وميلاد الموجة الثانية من التحرير السياسى، مجلة المستقبل العربى، العدد٣٨٧،مايو٢٠١١، ص ١٣٩

٥٧. حسنين توفيق ابراهيم : أزمة النخبة السياسية وتعثر مسارات الثورة، مجلة الديموقراطية، العدد ٥٢، فبراير٢٠١٤، ص ٤٦

٥٨. المرجع السابق، ص ٤٧

٥٩. محمد سعدى : الحراك العربى : أزمة الوسائط وبزوغ ثقافة جديدة للتغيير، موقع المعركة

٦٠. على ليلة وأخرون : الثورة والدولة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٠٤

٦١. على ليلة : فواعل الاحتجاج الاجتماعى فى خطابات النخبة المصرية، فى : السيد يس وأخرون : خرائط الاحتجاج الاجتماعى فى مصر مرجع سابق، ص٢٧٢

٦٢. محمد أحمد منيسى : المجتمع المدنى العربى وإلتباسات التأصيل، مجلة وجهة نظر، العدد٧، ربيع ٢٠٠٠، ص١٥

٦٣. المرجع السابق، ص ١٦

٦٤. السيد يس : الحراك السياسى والتحول الديموقراطى، مرجع سابق

٦٥. محمد سعدى، مرجع سابق، ص٦

٦٦. المرجع السابق، ص ٧

٦٧. وليد رشاد : الحركات الاجتماعية وتحولات المجال العام الإفتراضى، فى السيد يس وأخرون : خرائط الاحتجاج الاجتماعى فى مصر، مرجع سابق، ص ص ٣٣٠-٣٣١

٦٨. المرجع السابق، ص٣٣٤

٦٩. صلاح سالم : تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والامن القومى للمجتمع، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٣، ص٨٧

٧٠. رانيا مكرم : التوظيف السياسى لمواقع التواصل الاجتماعى، المركز الإقليمى للدراسات الاستراتيجية بالقاهرة، ٢٠١٤/١٠/١٢

٧١. جمال محمد غيطاس : الديموقراطية الرقمية، القاهرة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ص٤٥-٤٦

٧٢. رانيا مكرم، مرجع سابق

٧٣. رضوان قطبى : الديموقراطية الرقمية فى الوطن العربى، متاح فى : http://anfasse.org/2010-16-03
٧٤. احصاءات مستخدمى الفيس بوك فى العالم العربى، نقلا عن موقع ترابدنت، حسب احصاءات يناير ٢٠١١، متاح فى : http://www.Traidnt.net/vb/showthread.php?t=1554755
٧٥. وليد رشاد : ٢٥ يناير : من التعبئة الإفتراضية إلى الثورة، فى : على ليلة وأخرون : الثورة والدولة والمجتمع، مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١
76. Castell, M.: The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business and Society. Oxford university press,2001
77. Moses,A.Boudourides: Risk,Social Networks and social Movments.in : http://nicomedia.math.upatras.gr/sn/Boudourides_Risks&SMs.pdf
78. Joss,simon : Toward the puplic sphere Reflections on the Development the participatory Technology Assessment,Bulletin of science,Technology and Society,2002,vol.22.No.3,June,pp.220-222
79. Casttells,M , op cit. p. 189
80. Veronica, Alfaro: Comparing Social Movment in the virtual public sphere, from silence and Disruption to Cyber Activism 2.0: cyber Zapatistas, Electro Hippies, and Global Voices. (Available at: new polcom.rhul.ac.uk/politics.
٨١. وليد رشاد : الحركات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٤٩
٨٢. عماد صيام : ٢٥ يناير الثورة السلمية لشباب الطبقة الوسطى وتحديات المستقبل، الشبكة العربية لدراسة الديموقراطية، الربيع العربى، ثورات الخلاص من الاستبداد، شرق الكتاب، ٢٠١٣، ص٧٠
٨٣. آصف بيات : الحياة سياسة، كيف يغير بسطاء الناس الشرق الاوسط، ترجمة أحمد زايد، المركز القومى للترجمة بالقاهرة، ٢٠١٤،ص ص ٣٣٦-٣٣٧ ***ممكن نعمل قبل هذا الرقم نجمة لتعريف الفوضى الخلاقة
٨٤. عاصم الدسوقى : البحث عن قانون علمى لظاهرة الثورة، الإشكالات والفروض، بحث فى : أعمال ندوة الجمعية المصريةللدراسات التاريخية، بعنوان : الثورة والتغيير فى الوطن العربى عبر العصور، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب –جامعة القاهرة، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، تحرير /عبادة كحيلة، ط١، ٢٠٠٥، ص ص ١١-١٥
85. Jonathan,Kelly&Herbert,S.Klein : Revolution and the Rebirth of Inequality : Stratification in Post-Revolutionary society, American Journal of sociology,vol.83,No.1,July,1977,pp.78-90
٨٦. زياد عقل : ست سنوات على الثورتين المصرية والليبية، رؤية مقارنة، كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد٢٦٩، المجلد الخامس والعشرون، أكتوبر ٢٠١٦، ص٧
٨٧. محمد حلمى شعراوى، جذور وديناميات الثورات الشعبية فى بلدان الشمال الأفريقى مع التركيز على قضية مصر، فى تقرير المؤتمر بعنوان :نظرة نقدية فى ثورات عام ٢٠١١ فى شمال أفريقيا وتداعياتها، معهد الدراسات الأمنية، أديس أبابا، أثيوبيا، ٣١مايو٢٠١١، ص ٨
٨٨. السيد يس : ثورة ٢٥ يناير بين التحول الديموقراطى والثورة الشاملة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٢، ص ٣٢٣
٨٩. جمال محمد غيطاس : تطورات المعلوماتية الفورية ودورها فى الربيع العربى، فى : التقريرالعربى السابع للتنمية الثقافية، بعنوان : العرب بين مآسى الحاضر وأحلام التغيير، مؤسسة الفكر العربى، بيروت، ٢٠١٤، ص ص ٢٨١-٢٨٣

٩٠. Cooper,Michael : Us Diplomatic Response to the Arab Spring,Policy Making in a global Age,university of Texas,PA 383G,spring,2012mpp.169-178

٩١. آصف بيات، مرجع سابق، ص ص ٥٢٤-٥٢٦

(*) أسماء عينة الدراسة من الصحفيين : مرتبة أبجديا ..

- أحمد أبوشنب .....صحفى (جريدة الأهرام) .....ليبرالى
- أحمد الليثى .....صحفى (جريدة القاهرة) .....ليبرالى
- حسين متولى .....صحفى (جريدة الوفد) .....ليبرالى
- - رامى محمد المنشاوى .....صحفى (جريدة الوفد) .....تصوف اسلامى
- سارة درويش .....صحفى (جريدة اليوم السابع) .....ليبرالى
- سمية عبد المنعم .....صحفي(جريدة الوفد) .....ليبرالي
- ضحى الوردانى .....صحفى (جريدة البوابة).....ليبرالى
- علاء على شبل .....صحفى (جريدة الشروق) .....اسلامى وسط
- محمد حربى .....صحفى (جريدةالأهرام) .....يسارى
- - محمد عبد السلام أبوشوشة.....صحفى (جريدة الأهرام) .....اسلامى
- محمد عبد الغفار .....صحفى (جريدة أخبار اليوم) .....يسار وسط
- - مها مصطفى أبوشهبة .....صحفي (جريدة الأهرام) .....ليبرالى
- نضال ممدوح حسن .....صحفى(جريدة الدستور) .....علمانى